دراسات فى المخطوطات العربية

بدير القديسة كاترينه فى سيناء

للدكتور جوزيف نسيم يوسف

أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد – كلية الآداب – جامعة الاسكندرية

مقدمة :

يعتبر دير القديسة كاترينه الرابض فى أحضان جبل موسى فى قلب جزيرة سيناء ، على ارتفاع ١٥٦٠ متراً من مستوى سطح البحر ، من الآثار الخالدة للامبراطور البيزنطى جستنيان وزوجه الامبراطورة تيودورا . وقد نسب الدير متأخراً إلى القديسة كاترينه السكندرية التى كانت قد تركت عبادة الأوثان ، واعتنقت المسيحية وأخذت تدعو لها ، فانزعج الوثنيون وضايقوها إلى أن انتهى الأمر باستشهادها . فلما أقيم الدير بأمر جستنيان فى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى ، نقلوا اليه رفاتها ، ومن ثم سمى باسمها ، وكان ذلك فى القرن الثامن ، أى بعد وفاة هذه القديسة بمئات من السنين . وداخل هذا الدير وبين جدرانه يعيش بعض الرهبان ، منقطعين للصلاة والعبادة والتأمل فى ذات الله العلية (١) . يعيشون لربهم وهم يتمتعون

---

(١) حول الدير وتاريخه والقديسة كاترينه ، أنظر المراجع التالية : حسن مظهر : تاريخ دير القديسة كاترين – مقال بمجلة السياحة المصرية – العدد ١١٦ (١٩٦٦) ص ١٩ – ٢٦ . راجع أيضا مؤلفات رابينو وباسيل وفورسايث التالية : Rabino, M. H. L., Le Monastère de Sainte Catherine du Mont - Sinai, Le Caire, 1938, 11 ff.; Bassili, W.F., Sinai and St. Catherine Monastery, Cairo, 1957, 77; Forsyth, G. H., "Island of Faith in the Sinai Wilderness," National Geographic Magazine, January 1964, 84 ff.

وتزودنا كتب الرحالة والجغرافيين العرب والأجانب الذين زاروا سيناء ومنطقة أدير هل مر العصور ، وكذلك كتب المسالك والممالك والخطط العربية بمادة غزيرة قيمة بهذا الخصوص . وقد وردت الإشارة إلى سيناء فى كتاب الله « والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الأمين » . أنظر القرآن الكريم – سورة التين – الآيات ١–٣ .

بعطف وحماية الحكام المسلمين فى مصر فى العصور التاريخية المختلفة، مما يكشف عن تسامح الاسلام ورعايته الصادقة للأديان السماوية(١) .

ولا يزال دير القديسة كاترينه شاخصاً حتى اليوم يروى قصة قرون عديدة خلت . فهو آية من آيات الفن والمعمار البيزنطى ، من حيث جماله وما احتواه من المبانى والقباب الرائعة ، والصور واللوحات النادرة ، والفسيفساء ذات الألوان الخلابة الزاهية ، التى لا زالت تحتفظ برونقها وبهائها حتى يومنا هذا . فضلا عما يحويه من الكنوس والأوانى والذخائر المقدسة من ذهبية وفضية . ومع ما للدير من أهمية فائقة ، فانها لا تقاس بجانب مجموعة الأيقونات التى توجد به ، والتى لا يوجد مثيل لها فى العالم ، خاصة إذا عرفنا أن حركة محطمى الأصنام فى القرن الثامن الميلادى ، التى بدأها الامبراطور البيزنطى ليو الثالث الأيسورى (٧١٧ — ٧٤٠) ، ولم تسلم منها كنيسة أو دير فى العالم المسيحى المعروف وقتذاك ، لم تمتد إلى دير القديسة كاترينه لبعده وانعزاله ، فحفظت لنا تراثاً له قيمته الأثرية والتاريخية والفنية التى يصعب تقديرها .

وإلى جانب هذه المجموعة من المخلفات والذخائر المقدسة ، توجد مجموعة أخرى لا تقل عنها فى أهميتها ، وهى المخطوطات والوثائق التى يحتفظ بها الدير . إذ تتمتع مكتبته بصيت ذائع فى كافة الأوساط العلمية ، حتى أنها اجتذبت اليها أنظار الدارسين من مختلف أنحاء العالم . فهى تحتوى على وثائق ومخطوطات نادرة ظلت قابعة بالدير لأجيال طويلة ، لقيت فيها الكثير من الاهمال . ولكنها نقلت أخيراً إلى مخزن جديد تتوفر فيه وسائل

---

(١) أنظر عن ذلك مقالى المعنون « دراسة فى وثائق العصرين الفاطمى والأيوبى المحفوظة بمكتبة دير سانت كاترين فى سيناء » — مجلة كلية الآداب — جامعة الاسكندرية — المجلد ١٨ (١٩٦٤) الاسكندرية ١٩٦٥ — ص ١٨٤ وما بعدها ، ١٨٩ — ١٩٠ . راجع أيضا حسن حبشى : التسامح الاسلامى تجاه دير سانت كاترين — مقال بمجلة السياحة المصرية — العدد ١١٦ (١٩٦٦) — ص ١٧ — ١٨ ؛ جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية — المجلد الأول — ط . ثانية — الاسكندرية ١٩٦٥ — ص ١١—١٢ .

الاضاءة والنظافة والتهوية ، وأصبحت موضع اهتمام المسئولين بالدير وعنايتهم .

وتضم هذه المكتبة مجموعة نادرة من المخطوطات التى دونت فيما بين القرنين السادس والتاسع عشر ، يبلغ عددها قرابة ٤٥٠٠ مخطوطة ، مكتوبة باثنتى عشرة لغة هى : العربية ، واليونانية القديمة ، والسريانية ، والقبطية ، والجورجيانية ، والحبشية القديمة ، والتركية ، والفارسية ، والأرمينية ، واللاتينية ، والسلافونية ، والبولونية (١) . وقد تجمعت هذه المخطوطات فى الدير منذ انشائه ، وأخذ عددها يزداد على مر العصور ، بفضل الرهبان الذين كانوا يفدون اليه من كل مكان . كذلك يحتفظ الدير بمجموعة هائلة من الوثائق التى تتميز بجدتها وأصالتها ، والتى يبلغ عددها ١٧٤٢ وثيقة ، منها ١٠٧٢ وثيقة باللغة العربية و ٦٧٠ وثيقة باللغة التركية (٢) ، وهى تحتوى على عهود وصكوك ومراسيم ومنشورات وفرامانات ومعاهدات وفتاوى وحجج ومحاضر وأوامر ادارية .

بعثة جامعة الاسكندرية والهيئات العلمية الأمريكية إلى الدير :

ظلت هذه النفائس مغمورة فى الدير قروناً طويلة ، لا يكاد يحس بها أحد حتى أوائل القرن العشرين ، حينما بدأت أنظار العلماء تتجه اليها ، وتحاول الكشف عنها وتسليط الأضواء عليها . وقد أسهمت جامعة الاسكندرية

(١) يدل تعدد لغات المجموعة الخطية على تعدد القوميات التى عاشت بالدير فى مختلف العصور على امتداد أربعة عشر قرنا أو يزيد . أنظر أحمد محمد عيسى : مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بسيناء – مقال بالمجلة التاريخية المصرية – المجلد الخامس (١٩٥٦) – القاهرة ١٩٥٦ – ص ١١٩ .

(٢) ذكر الدكتور مراد كامل فى مقال بمجلة السياسة المصرية أن عدد الوثائق العربية ١٠٦٧ وثيقة فى حين أنها ١٠٧٢ ، وأن الوثائق التركية عددها ٥٤٩ والواقع أن عددها ٦٧٠ وثيقة. أنظر مراد كامل : الكنوز الخفية بدير سانت كاترين بطور سيناء – مقال بمجلة السياحة المصرية – العدد ١١٦ (١٩٦٦) – ص ٢٩ . ويلاحظ أن سيادته ذكر الرقم الصحيح لهذه الوثائق فى الفهرست . أنظر مراد كامل : فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء – ج ١ (القاهرة ١٩٥١) ص ١٣١ وص ١٩٧ .

فى أواسط هذا القرن بدور بارز فى هذا المضمار. ففى سنة ١٩٥٠ قامت بعثة مشتركة من جامعة الاسكندرية ومكتبة الكونجرس الأمريكية لتصوير أهم مخطوطات الدير بالميكروفيلم ، وكان على رأسها المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادى أول عميد لآداب الاسكندرية ،والدكتور عزيز سوريال عطيه أستاذ تاريخ العصور الوسطى السابق بها ، وكبير أساتذة التاريخ بجامعة يوتا الأمريكية حالياً . وقامت البعثة بالفعل بعمل صور ميكروفيلم لأهم هذه المخطوطات . وكانت النتائج التى حققتها تفوق حد التصور . إذ تم تصوير مليون ورقة مأخوذة من خمسة آلاف مخطوطة ووثيقة مكتوبة باثنتى عشرة لغة . وقد احتفظت كل من كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ومكتبة الكونجرس بواشنطون بنسخ من صور الميكروفيلم الخاصة بهذه المخطوطات ، حتى تكون فى متناول الدارسين والباحثين ينهلون من فيضها .

وفى عام ١٩٦٣ قامت بعثة أخرى اشتركت فيها كل من جامعة الاسكندرية وجامعتى متشيجان وبرنستون بأمريكا لمواصلة العمل الذى بدأته بعثة ١٩٥٠ ، والقيام ببعض الدراسات الفنية والأثرية والتاريخية فى الدير ومخطوطاته وأيقوناته . وكان على رأس هذه البعثة الدكتور أحمد فكرى رئيس قسم التاريخ بآداب الاسكندرية سابقاً وأستاذ التاريخ والحضارة الاسلامية السابق بها . وكان من حسن حظى أن أتيحت لى فرصة الاشتراك فى هذه البعثة الثانية ، حيث قمت بزيارة الدير المذكور مرتين فى أخريات عام ١٩٦٣ (١) .

مجموعة مخطوطات سيناء العربية ومحتوياتها :

أمضيت الشطر الأكبر من هاتين الزيارتين بين جدران مكتبة الدير ، حيث عكفت على مراجعة وثائقه ومخطوطاته العربية . وأعانى عملى الفنى

---

(١) كانت الزيارة الأولى فى الفترة من ٣ إلى ١٤ أكتوبر ، والثانية فى الفترة من ٢١ إلى ٢٥ أكتوبر ١٩٦٣ . هذا ، وفيما بين بعثتى ١٩٥٠ و١٩٦٣ قامت فى عام ١٩٥١ بعثة علمية اشتركت فيها جامعات الاسكندرية ومتشيجان وبرنستون .

بمكتبات جامعة الاسكندرية ومكتبتها العامة قبل التحاق بهيئة التدريس بآداب الاسكندرية ، على التعرف على تلك الوثائق والمخطوطات عن قرب ، وادراك ما تتمتع به من قيمة تاريخية نادرة ، جعلت طلاب العلم من مختلف بقاع العالم يتهافتون عليها وينقبون فيها ، ثم يخرجون علينا بكتب وبحوث ودراسات ، تلقى المزيد من الضوء على أحداث ووقائع هامة أغفلتها المصادر التاريخية التي بين أيدينا ، أو مرت عليها مر الكرام (١) .

وقد بلغت المجموعة العربية ٦٩٧ مخطوطة ، منها ٣٦ فاقد ، و ٥٩ كتاباً مطبوعاً ، ومخطوطة قبطية تحمل رقم ٣٨٩ — عربي ، وأخرى فارسية تحمل رقم ٦٩٣ — عربي . وعلى هذا يكون مجموع المخطوطات العربية المتبقية بالدير — بعد استبعاد الفاقد والمطبوع والمخطوطتين القبطية والفارسية — هو ٦٠٠ مخطوطة ، قامت بعثة ١٩٥٠ بتصوير ٣٠٥ منها ثم اختيارها بعناية فائقة .

ومن هذه المخطوطات الستمائة ٢٨ مخطوطة على رق ، واثنتان على رق وورق ، والباقي على ورق . ومن بينها أيضاً مخطوطات بها عدة نصوص

---

(١) أذكر ، على سبيل المثال ، مقالين للدكتور عزيز سوريال عطيه عن بعض مخطوطات الدير العربية ، الأول عن الكتاب المقدس بوسنا الدمشقي والتراجم العربية غير المنشورة لأعماله المحفوظة في سيناء ، والثاني عن المصحف الذي يحمل رقم ٥١٤ سيناء — عربي وقد اكتشفه الدكتور سوريال أثناء بعثة ١٩٥٠ ، كما أشار سيادته إليه في محاضرة عامة ألقاها بمكتبة الكونجرس عام ١٩٥١ عن البعثة والدير ومخطوطاته . أنظر Atiya, A.S., "St. John Damascene : Survey of the Unpublished Arabic Versions of his Works in Sinai," reprinted from Arabic and Islamic Studies in Honor of Hamilton A. R. Gibb, London, 1965, 73 — 83 ; idem, "The Codex Arabicus of Mt. Sinai," reprinted from the Indian Archives, Vol. VII, No. 1 — January - June, 1953. 1 — 2 & plates.

وسنعرض لذلك بالتفصيل في ختام هذا البحث .

وإلى جانب هذه الدراسات في المجموعة الخطية العربية ، هناك أيضا عشرات البحوث والمقالات التي تناولت الدير وتاريخه وتحفه وأيقوناته ومخطوطاته الشرقية والأجنبية ووثائقه لرجاله لم يكفهم في هذه المجالات ، نذكر من بينهم العالم الألماني كورت فايتزمان Kurt Weitzmann ، والزملاء الدكتور السيد عبد العزيز سالم والدكتور محمد محمود السروجي والدكتور حسن صبحي والدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى والدكتور داود عبده والدكتور سامي شلبي ، وغيرهم .

إضافية بغير العربية إلى جانب النصوص العربية الأصلية . فهناك ثمان مخطوطات بها نصوص عربية ويونانية ، ومخطوطة واحدة بها نصوص سريانية ، والثنتان بهما نصوص تركية ، إلى جانب النص العربي (١).

وترجع أهمية هذه المخطوطات أنها أقدم ما عرف من مخطوطات عربية مسيحية تمتاز نصوصها بقيمتها الفائقة في النواحي العلمية والدينية والتاريخية والفلسفية واللاهوتية . وهي تضم مصاحف عديدة فريدة في نوعها تتناول كل مراحل الثقافة المسيحية في الحقبة الوسيطة من التاريخ بصفة خاصة . ويمكن تقسيمها موضوعياً إلى الأقسام الستة التالية :

١ — أجزاء الكتاب المقدس ، وتتضمن بعض أسفار العهدين القديم والجديد .

٢ — كتب كنسية ، وتتضمن قراءات من النبوات والأناجيل وصلوات وقدامات .

٣ — كتب لاهوتية ، وتتضمن عظات ومبامر وتعاليم وأقوال الآباء والرسل والقديسين .

٤ - كتب تاريخية ، وتتناول سير وتراجم القديسين ، فضلا عن العديد من كتب التاريخ العام .

٥ — قوانين المجامع الكنسية الكبيرة والصغيرة .

٦ — متفرقات ومواضيع مختلفة في نواح متشعبة متعددة . (٢)

واضح من هذا التصنيف أن غالبية مخطوطات المجموعة العربية مسيحية الطابع والموضوع . فهي ، في الواقع ، تتحدث عن قصة المسيحية في العصور الوسطى . وتمدنا بمعلومات قيمة من الطراز الأول عن نشأة الرهبنة

---

(١) أنظر من ذلك أحمد محمد عيسى : مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بسيناء — ص ١٠٦-١٠٧ .

(٢) أنظر مراد كامل : الفهرست — جـ ١ — ص ١٦ .

فى مصر على هيئة حركة توحدية انفرادية قام بها كثير من النساك المتوحدين الذين عاشوا فى الصحراء الشرقية ، مثل القديس بولا (بولس) المتوفى حوالى سنة ٢٧٠ م والقديس انطونيوس المتوفى سنة ٣٥٦ م . كما نستكشف من سير وتراجم وأعمال عدد من آباء الكنيسة الأول ، مثل القديس باخوميوس (٢٩٠ — ٣٤٨ م) ، كيف تطور نظام الرهبنة إلى ما عرف بحركة الحياة أو الشركة الاجتماعية للرهبان . وتلقى أقوال وتعاليم هؤلاء الرواد الأوائل الضوء على نظم الرهبنة وقوانينها وتعاليمها ومعيشة الرهبان وحياتهم داخل قلاياتهم وأديرتهم ، وملبسهم وماكلهم ،وأوقات الصلاة والخدمة والعبادة ، وما إلى ذلك مما حفلت به تلك المجموعة الخطية .

وفضلا عن ذلك ، فهى تروى كيف انتقلت الرهبانية من مصر إلى أوروبا على يد القديس اثناسيوس الكندرى الذى كان بطريقاً على الاسكندرية ، ثم نفى من كرسيه ورحل إلى روما سنة ٣٤٠ م ومعه أفكار واضحة عن الرهبنة المصرية . وقد ساعدت على انتشارها فى أوروبا كتابات عدد من القديسين ، من أمثال القديس جيروم الذى ترجم حياة الرهبان المصريين وأنظمتهم إلى لاتينية العصور الوسطى ، وكتاب بالاديوس المعروف باسم «بستان الرهبان» أو «بستان الآباء» عن حياة رهبان مصر وسيرهم وأقوالهم .

كذلك نجد فى مصاحف المجموعة العربية بسيناء الشىء الكثير الذى يلقى أضواء جديدة على انتقال الرهبنة من مصر إلى شرق أوروبا ؛ ونعنى بذلك الدولة البيزنطية ؛ وكيف بدأت الحركة الديرية هناك على يد القديس بازيل اليونانى فى القرن الرابع الميلادى والذى تعتبر تعاليمه بداية للحياة الديرية المنظمة (١) .

---

(١) مكتبة الدير حافلة بعشرات المخطوطات العربية الحقيقة الخاصة بسير وتراجم وأقوال وتعاليم أولئك الآباء الأول ، وبخاصة أنطونيوس وباخوميوس وبازيل ويوحنا فم الذهب . كذلك توجد بالدير حوالى أربعون مخطوطة من كتاب « بستان الرهبان » المتضمن أقوال وسير وتعاليم أولئك الآباء . وقد قمت بحصر أهم المخطوطات العربية بسيناء الخاصة بعدد من القديسين =

وإذا كانت الرهبنة والديرية ، وسير الآباء والقديسين وأعمالهم ، وتراجم كبار رجال الكنيسة وأخبارهم ، قد حظيت بنصيب وافر فى مخطوطات المجموعة العربية بسيناء ، فهناك جانب آخر لا يقل عن ذلك أهمية ، ونعنى به موضوع الخلافات المذهبية والانقسامات الدينية التى قامت بين المسيحيين فى القرون الأولى من العصر الوسيط ، بعد فترة من الزمان قضاها العالم المسيحى متحداً لا يعكر صفوه شىء . وقد أدت هذه الانقسامات إلى التباعد بين شقى العالم المسيحى ، وإلى ظهور المذاهب الدينية المتعددة . كما أثارت الكثير من الجدل والنقاش . وجاهد أباطرة الدولة البيزنطية — حق وجودهم فى القسطنطينية كراعية للكنائس المسيحية الأخرى — جاهدوا فى سبيل القضاء على هذه الانقسامات ، والعمل على توحيد تلك المذاهب ، عن طريق عقد مجامع دينية كنسية عرفت فى التاريخ باسم «المجامع المسكونية» التى ضمت كل اساقفة العالم المسيحى وكبار رجال الدين فيه ، بقصد التشاور والنقاش فى المسائل المذهبية والخلافات الدينية ، أو لاعلان رأيهم فى هرطقة أو بدعة ما كالأريوسية والنسطورية . وكان لقرارات هذه المجامع المسكونية ، التى عقدت فيما بين عامى ٣٢٥ و ٧٨٧ م ، أهمية كبرى فى تلك الأزمنة البعيدة . إذ اعتبرت الأساس الذى بنيت عليه العقيدة المسيحية. ويتضح مما جاء فى المخطوطات العربية بسيناء الخاصة بتلك المجامع ، أن مهمتها كانت وضع القواعد الأصلية للديانة المسيحية على أساس الكتب المقدسة وتعاليم القديسين (١).

=أمثال أنطونيوس وباخوميوس وباسيل ويوحنا فم الذهب فى كتاب كوانتون (ج . ج) : هدى العصور الوسطى فى النظم والحضارة — ترجمة وتعليق د . جوزيف نسيم يوسف خط . ثانية — الاسكندرية ١٩٦٧ — ص ١٦٨ ح ٢ وص ١٧٠ ح ١ وص ٢٨٩ ح ١ . هذا، وأقوم حاليا باعداد دراسة مستقلة عن مخطوطات « بستان الرهبان » المحفوظة بدير سيناء .

(١) فيما يتعلق بهذه المجامع ، أنظر مخطوطات سيناء العربية أرقام ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٥٢٦ و ٥٩٠ و ٦٠٠ . ويعتبر المؤلف القبطى الذى وضعه بالانجليزية الدكتور عزيز سوريال عطيه من تاريخ المسيحية الشرقية أحدث وأفضل ماكتب فى هذا الموضوع . أنظر

Atiya, A. S., A History of Eastern Christianity, London, 1968, 55 ff.

وهكذا ترسم لنا تلك المصاحف العربية صورة حية دقيقة نابضة للمسيحية وتاريخها وكنيستها ورجالها فى العصور الوسطى التى اقتطعت من تاريخ البشرية زهاء عشرة قرون من الزمان . وهكذا تمضى بنا مصاحف تلك المجموعة لتذكر فى كثير من التفصيل والتحليل والتدقيق كل ما يتعلق بالمسيحية وأفكارها وفلسفتها وخلافاتها وانقساماتها ، والآثار التى طبعتها على العقل والفكر الوسيط وعلى نظمه وحضارته ، بل وعلى حياة الفرد الخاصة والعامة وقتذاك . كما تكشف عن الدور الخطير الذى قام به الجهاز الكنسى ابان الحقبة الوسيطة من التاريخ ، وكيف طبع الحياة خلال ألف عام أو يزيد بطابع خاص ، وأعطى المجتمع المسيحى ملامح وسمات مميزة . وشخصية لها كيانها وخصائصها ومقوماتها الخاصة بها .

ويلاحظ أنه إلى جانب الأهمية التاريخية للمادة التى تحتوى عليها مصاحف المجموعة العربية ، فانها تزود المتخصص بقدر كبير من المعلومات المتعلقة بالخطوط العربية ، إذ تعينه على دراسة تطور الكتابة والاملاء والخط العربى عبر القرون المتعاقبة . ويلاحظ أيضاً أن هذه المصاحف لا تقتصر على الدراسات المسيحية البحتة أو تلك التى تتعلق بالكتاب المقدس ، انما تضم إلى جانب ذلك العديد من البحوث القيمة فى ميادين شتى من الدراسات الانسانية والعلوم الدنيوية كالطب والفلك والموسيقى ، وما إلى ذلك .

هذه عجالة لازمة عن الدير وتحفه ومخطوطاته والمجموعة العربية التى يحتفظ بها ومحتوياتها . ولتقييم هذه المجموعة تقييما حقيقياً صادقاً ، وتقدير قيمتها العلمية والتاريخية ، يجب أن نتناولها بالدراسة والنقد والتحليل فى شىء من الاسهاب والتفصيل . وينقسم الحديث عنها إلى عشر نقاط رئيسية هى :

(أولا) تحديد تاريخ مخطوطات المجموعة العربية :

يرجع تاريخها إلى ما بين القرنين التاسع والتاسع عشر للميلاد . ويلاحظ أن غالبية هذه المصاحف قد دونت فى الفترة الوسيطة من التاريخ ، وأن عدداً قليلا جداً منها دون بعد ذلك . ويرجع الفضل إلى القلوفونات

التى اختتمت بها كثير من هذه المصاحف فى تحديد تاريخ كتابتها تحديداً دقيقاً قاطعاً . والكلوفون هو جزء ختامى من المخطوط وبقلم الكاتب نفسه . وفيه يشير الكاتب ... عادة ... إلى تاريخ الفراغ من كتابة المخطوط . وعلى هذا الأساس تم تحديد تاريخ عدد كبير من المخطوطات تحديداً صريحاً . ومع ذلك ، فان كثيراً من مصاحف المجموعة العربية غير معروف تاريخها ، ولم ترد بها — لسوء الحظ — خواتيم بقلم كتابها تعين الدارسين على معرفة تاريخ تدوينها .

وهناك ، على أية حال ، وسائل عديدة أمكن عن طريقها تحديد تاريخ المخطوطات غير المؤرخة تحديداً تقريبياً اجتهادياً . من ذلك نوع المداد ولونه ، ونوع الورق المستعمل وحجمه ، ونوع القلم الذى كتب به ، ونوع الخط المستخدم فى الكتابة . بالاضافة إلى اشارات وردت فى بعض التعليقات الاضافية التى تضمنتها كثير من هذه المخطوطات ، تفيد اطلاع القراء عليها فى عصور لا حقة . مثال ذلك المخطوط رقم ٣١ سيناء — عربى ، وموضوعه «مزامير» ، وتاريخه غير معروف على وجه التحديد . ولكن عثر على تعليق مؤرخ يتضمن اطلاع أحد القراء عليه ، وساعد هذا التعليق على تحديد تاريخ المخطوط بحوالى القرن الثانى عشر الميلادى (١) . ومن الوسائل التى لجأ الباحثون اليها لتحديد تواريخ كتابة المصاحف غير المؤرخة ، مقارنة المصاحف بعضها ببعض . مثال ذلك المخطوط رقم ٣٢ سيناء — عربى ، وموضوعه «مزامير وتسابيح» ، وتاريخه غير معروف . ولكن بالمقارنة اتضح أنه من نفس مدرسة الخط المستخدم فى المخطوط رقم ٣٠ سيناء — عربى ، وموضوعه هو الآخر «مزامير وتسابيح» ، وتاريخه محدد وهو سنة ٣٦٧ هـ

(١) ورد التعليق المذكور على ورقتى ٢٠ ب و ٢١ ا . أنظر أيضا المخطوط رقم ٤٣ سيناء — عربى ، وموضوعه « مزامير وتسابيح » وتاريخه غير معروف ، ولكن ورد به تعليق إضافى (ورقة ١٧٢ ب) يفيد الاطلاع عليه ، وتاريخ التعليق ٨٨٠هـ/١٤٧٧م ؛ ومن هذا يحتمل أن يكون تاريخ المخطوط هو القرن الرابع عشر ، أى قبل تاريخ القراءة المؤرخة الواردة به .

التى توافق سنة ٩٧٧ م . وعلى هذا يمكن القول بأن المخطوط رقم ٣١ دون حوالى القرن الحادى عشر للميلاد . وهناك أيضاً — على سبيل المثال — المخطوط رقم ٣٣ سيناء — عربى ، وموضوعه «مزامير وتسابيح» ، وتاريخه غير معروف ، ولكن يوجد على ورقتى ٧ ب و ٨ ا نقشان صغيران يبدو فيهما الأثر القبطى واضحاً ، وتحيط بهما باللغة القبطية كلمة IHC ΠXC (١) ومعناها يسوع المسيح . وهذا يدل على أنه يرجع إلى القرن الثالث عشر لسبب بسيط ، وهو أن القبط لم يبدأوا فى التدوين باللغة العربية الا اعتباراً من ذلك القرن .

والخلاصة أن تحديد تاريخ المخطوطات التى بدون تاريخ هو تحديد غير قاطع ، ولا يعدو أن يكون أكثر من محاولة اجتهادية من قبل الباحثين . وعلى أية حال ، هناك احدى عشرة مخطوطة ترجع إلى القرن التاسع الميلادى منها ثلاث مؤرخة بالسنين الميلادية ، وثلاث مخطوطات ترجع فيما بين القرنين التاسع والعاشر ، وتسع عشرة مخطوطة ترجع إلى القرن العاشر منها أربع مؤرخة بالسنين الميلادية ، ومخطوطتان يرجع تاريخهما فيما بين القرنين العاشر والحادى عشر ، وخمس وعشرون مخطوطة يرجع تاريخها إلى القرن الحادى عشر منها اثنتا عشرة مؤرخة بالسنين الميلادية ، ومخطوطتان ترجعان فيما بين القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، واثنتان وسبعون مخطوطة ترجع إلى القرن الثانى عشر منها اثنتان وعشرون مؤرخة ، واحدى عشرة مخطوطة فيما بين القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وثلاثمائة واثنتان وثلاثون ، مخطوطة ترجع إلى القرن الثالث عشر المؤرخ منها مائة وخمسة عشر ، وثلاث وأربعون مخطوطة ترجع إلى القرن الرابع عشر منها المؤرخ ثلاث وثلاثون ، وثمان عشرة مخطوطة ترجع إلى القرن الخامس عشر منها المؤرخ اثنتا عشرة ، وتسع مخطوطات ترجع إلى القرن السادس عشر منها خمس مؤرخة بالسنين الميلادية ، وأربعون مخطوطة ترجع إلى القرن السابع عشر منها تسع عشرة

(١) هذه مختصر كلمة Ιησους Χριστος ونطقها «يسوس إى إخريستوس» ، وترجمتها يسوع المسيح ، ومختصرها باليونانية I ης Χς .

مؤرخة ، وثلاث مخطوطات ترجع إلى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وثمان عشرة مخطوطة ترجع إلى القرن الثامن عشر منها اثنتا عشرة مؤرخة بالسنين الميلادية ، ومخطوطة واحدة فيما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وأخيراً أربع مخطوطات كلها مؤرخة ترجع إلى القرن التاسع عشر (١).

(ثانياً) دراسة تطور الكتابة والخط العربي :

تضم المجموعة العربية مصاحف مدونة بأنواع عديدة من الخطوط ، تختلف بين الحسن والرديء والرفيع والسميك ، وتحتاج في كثير من الأحيان إلى جهد وصبر ومثابرة حتى يتعلمها الباحث ، ويتدرب على قراءتها والإفادة منها . وإن مثل هذه الدراسة توفر للباحث الكثير من الوقت وتجنبه الوقوع في العديد من الأخطاء . وتتضح أهمية هذه الدراسة بالنسبة للمجموعة الخطية العربية التي يرجع معظمها إلى الحقبة الوسيطة من التاريخ . فهي تمدنا بقدر كبير من المعلومات المتعلقة بالخطوط العربية ، وبمادة قيمة نادرة عن نمو هذه الخطوط وتطورها والأشكال المختلفة التي كانت تكتب بها . فمنها النسخي ، ومنها الرقعة، والتعليق ، والكوفي ، ومنها أيضاً الوسط بين الكوفي والنسخ . وهي تكشف كذلك عن وجود أنواع عديدة لكل من هذه الخطوط ، التي تبدو فيها الأساليب المختلفة المشرقة للجمال الخطي العربي الذي ينتمي إلى كل حقبة من حقب العصر الاسلامي . وهي أخيراً تزود الدارس في علم قراءة الخطوط Paleography بمادة دسمة ، وتفيد في الكشف عن نواح كثيرة من التاريخ .

وإذا انتقلنا من التعميم إلى التخصيص ، نقول ان المجموعة العربية تضم مخطوطات مكتوبة بالخط الكوفي (٢) من القرون التاسع والعاشر

---

(١) هذا البيان الاحصائي وارد في : مراد كامل : الفهرست — ج ١ — ص ١٦ — ١٧ ؛ ومنه يتضح أن الجانب الأكبر من مخطوطات المجموعة العربية يرجع تدوينه إلى الحقبة الوسيطة من التاريخ .

(٢) وهو الخط المستخدم في تقديم بعد تهذيبه . أنظر لوحة رقم ٣ ولوحة رقم ٤ .

والحادى عشر ، وتعتبر أقدم ما وصل الينا فى ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية (١) ؛ منها أربع عشرة مخطوطة من القرن التاسع كلها مكتوبة على الرق ، واحدى وعشرون مخطوطة من القرن العاشر . وهناك أيضاً الخط الوسط بين الكوفى والنسخ القديم (٢) ، وكذلك النستعليق (٣) أما غالبية المجموعة فمكتوبة بالخط النسخ بأنواعه المختلفة . فمن هذه الأنواع النسخى الجيد (٤) ، والنسخى المقسق المنتظم (٥) ، والنسخى الجيد المتسق (٦) ، والنسخى الردىء (٧) ، والنسخى العتيق الجيد (٨) ، والعتيق المتسق (٩) ،

---

(١) أنظر ، على سبيل المثال ، مخطوطة رقم ١ سيناء – عربى ، وموضوعها « العهد القديم » وتاريخها حوالى القرن التاسع الميلادى .

(٢) أنظر مخطوطة رقم ٢ سيناء – عربى ، وموضوعها « العهد القديم » ، وتاريخها سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٠ م ؛ وكذلك مخطوطة رقم ٧ سيناء – عربى ، وموضوعها «أخبار الأيام» ، وتاريخها حوالى القرن العاشر الميلادى . والخط الوسط بين الكوفى والنسخ هو قاعدة شاذة ، لم يطرقها إلا أندر الخطين على الفن . أنظر لوحة رقم ٥ .

(٣) النستعليق هو عبارة عن قاعدة خطية تجمع بين النسخ والثلث بتصرفات خاصة . ونجد مثالا واضحا لهذا النوع من الخط فى المصحف رقم ٦٨ سيناء – عربى ، وموضوعه « الأناجيل الأربعة » ، وتاريخه حوالى القرن الرابع عشر ، والخط المستخدم هو النسخى الممتاز بالبطين لرفيع والتظيظ ، والنستعليق مذهب فى وسط الصفحة . أنظر مثلا ، ورقة ٨٥ من المصحف المذكور . أنظر أيضا لوحة رقم ٤ .

(٤) أنظر مخطوطة رقم ٣ سيناء – عربى ، وموضوعها « العهد القديم » ، وتاريخها ١٣٥٨م ، والخط المستخدم فى كتابتها هو النسخى الجيد ، وهو الخط المألوف فى تلك الفترة من الزمن .

(٥) أنظر المخطوطات العربية بسيناء التى تحمل أرقام ٥ و ٦ و ٩ و ١٢ و ٢٧ و ٣٧ و ٤٠ و ٤٦ .

(٦) أنظر المخطوطات العربية بسيناء التى تحمل أرقام ١٠ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٨ و ٣٤ و ٣٦ و ٤١ و ٤٢ و ٥٠ .

(٧) أنظر مخطوطة رقم ٤ سيناء – عربى ، وتاريخها ٣٥٣هـ / ٩٦٣م ، وموضوعها « العهد القديم » ؛ وكذلك مخطوطة رقم ٣٢ سيناء – عربى .

(٨) أنظر مخطوطة رقم ١٦ سيناء – عربى ، وموضوعها « النبوات » وتاريخها حوالى القرن الثالث عشر .

(٩) أنظر مخطوطة رقم ٢٣ سيناء – عربى ؛ وكذلك مخطوطة رقم ٤٣ سيناء – عربى . أنظر أيضا لوحة رقم ٦ .

والعتيق الجيد المتسق (١) ، والعتيق الرديء(٢) ، والغليظ أو العريض البدائى (٣) . وهناك أيضاً الغليظ المتسق (٤) ، والنسخى العتيق بالبنط الكبير المتسق (٥) ، والنسخى الجيد بالبنط الصغير الرفيع (٦) ، والنسخى الممتاز الرفيع والسميك (٧) .

ومعظم هذه المخطوطات غير منقطة ، وبخاصة تلك التى ترجع إلى الفترة الوسيطة من التاريخ . وقليل منها تم تنقيطه جزئياً ، والتنقيط فى الغالب بمداد مغاير ، وربما تم ذلك فى عصر لاحق لكتابة المخطوط (٨) . وما يقال عن التنقيط يقال أيضاً عن الضبط والتشكيل . فقليل منها تم ضبط حروفه أو كلماته (٩) . وثمة ملاحظة أخرى هى أن العناوين ورءوس الموضوعات فى الجانب الأكبر من هذه المصاحف معلمة جزئياً أو كلياً بالمداد الأحمر ؛ وقد استخدم المداد الأحمر بوفرة وسخاء فى البعض ، وبقلة وتقتير فى البعض الآخر . هذا ، وقليل منها غير معلم باللون الأحمر (١٠) ، وعدد أقل استخدم المداد الأزرق والأخضر فى كتابة بعض عناوينه (١١) .

---

(١) أنظر مخطوطة رقم ٢١ سيناء — عربى ، وموضوعها "مزامير وتسابيح" ، وتاريخها حوالى القرن الحادى عشر . أنظر أيضا لوحة رقم ٢ .

(٢) أنظر مخطوطات سيناء العربية أرقام ١٧ و ٢٢ و ٣٣ .

(٣) أنظر مخطوطة رقم ٢٠ سيناء — عربى ، وموضوعها "مزامير وتسابيح" وتاريخها حوالى القرن الثالث عشر ، ومخطوطة رقم ٢٤ سيناء — عربى ، وموضوعها "مزامير وتسابيح" وتاريخها هى الأخرى حوالى القرن الثالث عشر . أنظر أيضا لوحة رقم ٧ .

(٤) أنظر المخطوطات العربية بسيناء أرقام ٢٥ و ٢٦ و ٣٨ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ .

(٥) أنظر المخطوطات العربية بسيناء أرقام ٢٨ و ٢٩ و ٣١ .

(٦) أنظر مخطوطة رقم ٣٥ سيناء — عربى ، وموضوعها "مزامير وتسابيح" وتاريخها ١٩٢٩/٥١٠٣٩م .

(٧) أنظر لوحة رقم ١ .

(٨) نذكر ، على سبيل المثال ، مخطوطة رقم ١ سيناء — عربى ، وموضوعها "العهد القديم" ، وتاريخها حوالى القرن التاسع . أنظر أيضا لوحة رقم ١ .

(٩) المصاحف المضبوطة كلماتها قليلة للغاية ، نذكر من بينها تلك التى تحمل أرقام ٣ و ١٠ و ٣٠ و ٦٨ (سيناء — عربى) . أنظر لوحة رقم ١ .

(١٠) مثل مخطوطة رقم ٥ سيناء ، عربى ، ومخطوطة رقم ٣٢ سيناء — عربى .

(١١) أنظر مخطوطة رقم ١٨٦ سيناء — عربى ، وموضوعها "أورولوجيون" ، وتاريخها حوالى القرن الثالث عشر ، وكاتبها مجهول .

ويلاحظ أيضاً أن عدداً قليلا جداً من هذه المخطوطات اشترك فى كتابة كل منها أكثر من شخص . مثال ذلك مخطوطة رقم ٣٧ سيناء — عربى ، وموضوعها «مزامير» ، وتاريخها ١٢٣١ م ، وقد اشترك شخصان فى كتابتها ، ويتضح هذا من وجود خطين مختلفين تماماً عن بعضهما . وبالمثل مخطوطة رقم ٥٨ سيناء — عربى ، وموضوعها «مزامير وتسابيح» ، وتاريخها حوالى القرن الخامس عشر ، وكاتبها مجهول . بينما يتضح من تعليق اضافى ورد فى مخطوطة رقم ٨٢ سيناء — عربى ، وموضوعها «الأناجيل الأربعة» ، وتاريخها ١٢٨٧ م ، أنه اشترك فى اعدادها ثلاثة أشخاص (١) .

(ثالثاً) أغلفة المخطوطات وأهميتها :

قد يبدو للوهلة الأولى أن أغلفة المخطوطات العربية ليست لها القيمة التى تستوجب الاشارة اليها . والعكس - كما سنرى — هو الصحيح . قليل من هذه المخطوطات أغلفتها مفقودة (٢) ، وعدد أقل مغلف بالورق المقوى أو العادى (٣) ، وعدد لا بأس به مغلف بجلد بنى داكن أو فاتح اللون ، وهو محشو — عادة — بورق عادى أو ورق بردى لتقويته (٤). أما أكثرية مخطوطات المجموعة العربية ، فغلافها خشبى مكسو بجلد أسود أو بنى يتميز بلونه الداكن أو الفاتح أو الباهت (٥) .

---

(١) أنظر مخطوطة رقم ٨٢ سيناء — عربى ، ورقة ٢٠٦ ب . وراجع أيضا المخطوطات أرقام ٢١٢ و ٢٢٨ و ٢٣٤ و ٢٣٥ (سيناء — عربى) .

(٢) مثل المخطوطات أرقام ٥ و ٦ و ١٢ و ٢٤ و ٤١ (سيناء — عربى) .

(٣) مثل مخطوطة رقم ١٦ سيناء — عربى ، وهى مغلفة بورق تالف أقدم عهده من ورق المخطوط ، والمخطوطة رقم ٣٧ وهى مغلفة بورق مقوى يتألف من صحائف قديمة بالية .

(٤) أنظر مثلا المخطوطات التى تحمل أرقام ٣ و ٧ و ١٤ و ١٦ و ٢٣ و ٢٩ و ٣٢ و ٣٥ و ٣٦ و ٤٢ . هذا ، والمخطوطة رقم ٢٧ مغلفة بجلد بنى محشو بورق عادى وورق بردى عليه كتابات تحتاج إلى فحص ودراسة .

(٥) هناك مخطوطة واحدة غلافها خشبى مكسو برق سميك هى المخطوطة رقم ٢١ سيناء — عربى ، وموضوعها «مزامير وتسابيح» ، وتاريخها حوالى القرن الحادى عشر .

وجدير بالذكر أن بعض هذه الأغلفة مزينة بنقوش بارزة أو محببة ، وبعضها مرصع بحليات فى الأركان والوسط ، أو بإطارات وأفاريز بديعة الشكل يبدو فيها الأثر العربى واضحاً . وقد يتوسط الغلاف رسم على شكل صليب أو صليب من النحاس وعليه المسيح مصلوباً(١). ولعل أجمل هذه الأغلفة غلاف المخطوطة رقم ٧٦ سيناء — عربى ، وموضوعها «الأناجيل الأربعة» ، وتاريخها القرن الثالث عشر ، وكاتبها مجهول . وهى مجلدة تجليداً فاخراً ، وغلافها خشبى مكسو بجلد بنى ، وجانبه الأيمن مرصع بحليات فى الأركان والوسط ، أما الجانب الأيسر فهو الآخر مرصع عند أركانه الأربعة ، ومزين فى الوسط بصليب نحاسى عليه المسيح مصلوباً ، وعن يمينه السيدة العذراء ، وعن يساره القديس يوحنا . وبأعلا الغلاف دائرتان نحاسيتان مطروقتان مع رسمين يمثلان النسر والثور ، وهما يرمزان إلى الرسولين يوحنا ولوقا . وفى الغلاف من أسفل دائرتان نحاسيتان أخريتان بداخليهما رئيسا الملائكة ميخائيل وجبرائيل ، وتحيط بكل هذا التشكيل شرائط من ست قطع نحاسية تكون اطاراً على رسوم تمثل أوراقاً نباتية . كما استخدمت فى ربط المخطوط أشرطة من الكتان الأحمر وخيط ذهبى ومشابك . وعندما يكون المخطوط مغلقاً تكشف حواف الأوراق من جوانبه الثلاثة عن ثمان زخارف على شكل صلبان من أحجام مختلفة تتقاطع معها ثلاثة رسوم على الطراز العربى . وقد استخدمت فى تلوين المجموعة كلها الألوان الأحمر والذهبى والأسود (٢) . ويهمنا هنا أن نبرز أن هذه النقوش تكشف عن بعض عناصر فنية ذات تأثيرات عربية واضحة المعالم .

وبفحص هذه الأغلفة يتضح أنه كانت توجد فى عدد كبير منها

---

(١) نجد نماذج هذه الأغلفة المزينة فى المخطوطات أرقام ٣ و١٣ و١٤ و١٥ و١٧ و١٨ و٣٤ و٤٢ و٤٦ و٤٩ .

(٢) الأغلفة التى من هذا النوع قليلة فى المجموعة العربية ، ولكنها كثيرة العدد فى المجموعة اليونانية التى يحتفظ بها الدير .

أشرطة جلدية ومشابك معدنية ومسامير ذات رءوس كبيرة وأقفال لإحكام غلقها ، وقد فقد معظمها (١) .

وجدير بالملاحظة أن بعض أغلفة المجموعة العربية أصابها البلیان ، وتم ترميمها وتقويتها . وقد استخدمت بعض مخطوطات الدير القديمة لحشو هذه المصاحف العربية البالية وتبطينها . مثال ذلك مخطوطة رقم ٢٥ سيناء — عربى ، وموضوعها «مزامير وتسابيح» ، وتاريخها سنة ١٢٥٩ م ؛ لها غلاف خشبي مكسو بجلد بنى داكن والجانب الأيسر منه مغطى بورقة أقدم عهداً من ورق المخطوط وعليها كتابة بالعربية . كما أن الأوراق الثلاث الأول منه ترجع إلى عصر أقدم من ورق المخطوط ، مدون عليها بعض المزامير من مجلد آخر يرجح أنه استخدم لحشو وتبطين أغلفة المخطوطات القديمة البالية. وهذه — للأسف — ظاهرة واضحة أدت إلى ضياع الكثير من المخطوطات العتيقة المبكرة التي كان الدير يحتفظ بها .

وما يقال عن هذه المخطوطة يقال أيضاً عن المخطوطة رقم ٣٧ سيناء — عربى ، وموضوعها «مزامير» ، وتاريخها سنة ١٢٣١ م . وتتألف غلافها من صحائف قديمة من الورق عليها كتابات بعضها باللغة القبطية وبعضها الآخر باللغتين القبطية والعربية ، والبعض بالعربية فقط . وتحتوى هذه الكتابات فى معظمها على صلوات ومزامير . ومحتويات هذا الغلاف لها أهمية خاصة ، ويجب معالجتها بعناية ورفق والعمل على صيانتها وحفظها . وان دل هذا على شيء ، فانما يدل على أن الدير كان يحتفظ بنسخ خطية قبطية للأناجيل ترجع إلى فترة تاريخية مبكرة ، وأنها قد استخدمت فى عمليات الحشو

(١) المخطوطة رقم ١٢٦ سيناء — عربى ، وموضوعها « قراءات من الأناجيل لأعياد السنة » ، وتاريخها سنة ١٦٨٠م ، وكاتبها الراهب خورى الياس ، لم يبق مع غلافها سوى المسامير الكبيرة المبرشمة فحسب ، أما الأشرطة والمشابك والأقفال فقد فقدت كلها . أما المخطوطة رقم ١٤٩ سيناء — عربى ، وعنوانها «قراءات من الرسائل » وتاريخها سوالى القرن الثالث عشر ، وكاتبها يدعى يوحنا الكفورى ، فلم يتبق مع غلافها سوى شريط واحد ومسمار برأس كبيرة .

والخلاصة أن هذه التكوينات الزخرفية فى المصاحف العربية المصورة ، تؤلف أشكالا هندسية فى غاية الروعة والجمال ، من مسدسات ومربعات ومثلثات ودوائر وخطوط متداخلة ، إلى زخارف نباتية جميلة ، إلى توريقات أهم عناصرها الفروع النباتية المنحنية والمراوح النخيلية ، إلى أفاريز قوامها حشوات صغيرة مملوءة بالتوريقات ، إلى رسوم مختلفة تصور مناظر دينية . فنشاهد ، مثلا ، رمزاً على شكل صليب ، أو قديساً على رأسه هالة ، أو رمزاً يمثل المسيح وحوله الملائكة والقديسين . ويؤكد عنصر الزخرفة وأسلوب تمثيل الأشخاص فى هذه المجموعة النادرة من المصاحف العربية المسيحية ، وجود الأثر العربى بشكل جلى فيها (١) .

وكون بعض المصاحف العربية المحفوظة بالدير تحمل بين ثناياها نقوشاً وزخارف تضم بعض العناصر الفنية ذات التأثيرات العربية فى معظمها أو البيزنطية أو القبطية فى قليل منها — لهو أمر يحتاج إلى دراسة جادة دائبة قد تميط اللثام عن جوانب فى تاريخ العصر الوسيط وحضارته لا يزال يعتورها الغموض والابهام . ومما يذكر أنه لا تتمتع بهذه الميزة مصاحف المجموعة الخطية العربية وحدها ، انما نجد هذه التأثيرات العربية واضحة فى مجموعة مبانى الدير وفى تحفه وأيقوناته كذلك (٢) .

---

(١) لايزال هذا الموضوع بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث ، ويصح أن يكون أساس لدراسة مفيدة تتميز بالجدية والأصالة .

(٢) أنظر عن ذلك مقال الدكتور السيد عبد العزيز سالم : الآثار الإسلامية فى دير سانت كاترين بطور سينا — مجلة العلوم — العدد الأول (كانون الثانى / يناير ١٩٦٥) — بيروت ١٩٦٥ — ص ٦ — ٨ .

ويرى الاستاذ أحمد محمد عيسى أن كثيرا من المخطوطات اليونانية التى يحتفظ بها الدير يزدان أيضا برسوم ذات طابع اسلامى يستطيع الباحث عن طريقها تحديد العصر الذى كتب فيه المخطوط. ويرى أيضا أن هذه الظاهرة تستحق العناية والدرس لأهميتها بالنسبة للعلاقات الفنية المتبادلة بين فنون الشرق الأدنى وتأثير كل منه على الآخر . ويرجح أن يكون مزخرفو هذه المخطوطات من المسلمين الذين قاموا بهذا العمل للرهبان ، أو أن تكون هذه الرسوم من صناعة مزوقين مسيحيين عملوا فى هذا الفن لحساب المسيحيين والمسلمين على السواء . انظر أحمد عيسى : مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين — ص ١٠٧ .

(خامساً) القالوفونات أو الخواتيم :

تكاد كل مخطوطة من مخطوطات المجموعة العربية تنتهى بقلوفون بقلم الكاتب . والقلوفون هو الخاتمة التى تأخذ — عادة — شكل مثلث قاعدته إلى أعلا ورأسه إلى أسفل، وقد تأخذ الشكل المألوف فى الكتابة . وتلقى تلك القلوفونات أو الخواتيم الضوء على قصة الدير التى لا نعرف عنها الكثير ، وعلى تنظيمه الادارى والدينى على مر العصور . كما تمدنا بسجل حى متحرك لكثير من التفاصيل الهامة المتعلقة بالحوادث العامة أو المحلية فى فترات عديدة . وهناك كثير من مخطوطات المجموعة العربية يحتوى كل منها على أكثر من موضوع ، قد ينتهى كل موضوع بخاتمة خاصة به (١) .

ويرجع الفضل إلى هذه القلوفونات فى تحديد تاريخ عدد كبير من مصاحف المجموعة العربية (٢) ، وفى التعرف على أسماء كتابها (٣) أو

---

(١) يندر أن يكون القلوفون فى غير موضعه الطبيعى بآخر المخطوط . مثال ذلك مخطوط رقم ٢٢٧ سيناء — عربى ، وموضوعه « ليتورجيا » ، وتاريخه حوالى القرن الثالث عشر ، وكاتبه يدعى القس سابا ؛ وقد عثر على القلوفون باسم كاتب المخطوط محشوراً فى الورقة رقم ٥٠ ب .

(٢) أنظر ، مثلا ، القلوفون الوارد فى ورقة ٢٤٦ ب فى المخطوطة رقم ٢ سيناء — عربى ؛ وورقة ١٣٦ أ — ب فى المخطوطة رقم ١٢ سيناء — عربى ؛ وورقة ٢٤٨ أ فى المخطوطة رقم ١٨ سيناء — عربى ؛ وورقة ٢٢١ ب فى المخطوطة رقم ٢٨ سيناء — عربى ؛ وورقة ١٩٢ ب فى المخطوطة رقم ٣٤ سيناء — عربى ؛ وورقة ٢٦ ب فى المخطوطة رقم ٣٧ سيناء — عربى ؛ وورقة ٣٥٥ أ فى المخطوطة رقم ٤٠ سيناء — عربى ؛ وورقة ٣٥٥ أ فى المخطوطة رقم ٤٩ سيناء — عربى ؛ وهكذا . فهى وغيرها تحدد تحديدا قاطعا تاريخ كتابة المخطوط أو تاريخ الفراغ من تدوينه .

(٣) أنظر — مثلا — المخطوطات العربية بسيناء أرقام ٢ (ورقة ٢٣٠ ب — ٢٣١ أ) ، و ٤ (ورقة ٢٨١ أ) ، و ١٢ (ورقة ١٣٦ أ — ب) ، و ٢٥ (ورقة ١٦٧ أ) ، و ٣٥ (ورقة ١٧٧ أ) ، و ٤٠ (ورقة ٣٥٥ أ) ، و ٤٩ (ورقة ٢١٤ ب) ، و ٥٠ (ورقة ١٢٣ أ) ، وهكذا .

مترجميها (١) . ولما كان الجانب الأكبر من مصاحف هذه المجموعة يتناول شتى مراحل الثقافة المسيحية من القرن التاسع حتى أواخر العصر الوسيط وبعد ذلك ، فقد حرص كتابها أو مترجموها أو ناقلوها على عدم الاشارة إلى أسمائهم صراحة تقرباً إلى الله ورغبة فى الحصول على رضائه ، خاصة وأن معظم هؤلاء كانوا من رجال الدين من رهبان وكهنة وقساوسة وشمامسة وغيرهم ، ممن لا يبغون صيتاً أو شهرة دنيوية زائلة هم فى غنى عنها . وعلى هذا ، فان ورود أسماء أولئك الكتاب والنقلة والمترجمين عرضا فى ثنايا القلوفونات ، يعتبر أمراً لا يمكن التقليل من أهميته . ولما كان القلوفون يتضمن — عادة — تاريخ المخطوط واسم كاتبه أو مترجمه ، فقد ساعد ذلك على تحديد الزمن الذى عاش فيه الكاتب أو المترجم مما يعين على التعرف على سيرته وأخباره .

وفضلا عما تقدم ، تكشف تلك القلوفونات عن مصادر المصاحف العربية وأصولها . فنعرف منها — مثلا — أن أصل المخطوطة رقم ٣ سيناء — عربى من دمشق ، وموضوعها «العهد القديم» وتاريخها سنة ١٣٥٨ م ، وكاتبها يدعى يوسف بن سباط الآمدى السريانى (٢) ؛ وأن المخطوطة رقم ٢٨ سيناء — عربى ، وموضوعها «مزامير وتسابيح» وتاريخها سنة ١٢٦٩م ، وكاتبها مجهول مصدرها دير سيناء (٣) ؛ وأن المخطوطة رقم ٣٤ سيناء —

---

(١) أنظر ، على سبيل المثال ، المخطوطة رقم ١٠ سيناء — عربى ، وموضوعها « العهد القديم » وتاريخها ١٢٣٣ — ١٢٣٤ م ، حيث جاء فى أوراق ٥٦ ب و١٢٨ ب و ١٧٠ ب ، أن مترجمها يدعى الحرث بن سنان ؛ وكذلك المخطوطة رقم ٣٤ سيناء — عربى وموضوعها « مزامير » وتاريخها ١٢٨٢ م وقد جاء فى ورقة ١٩٢ ب أن الذى قام بترجمته من اليونانية الى العربية هو عبد الله بن الفضل بن عبد الله الأنطاكى ؛ وكذلك مخطوطة رقم ٢٥٢ سيناء — عربى وموضوعها « كتاب كنسية لخدمة القداس » وتاريخها سنة ١٠١٠م ومترجمها يدعى عيسى بن اسحق الحمصى (ورقة ١٦٢ ب) ، وهكذا .

(٢) أنظر المخطوطة رقم ٣ سيناء — عربى — ورقة ٣٣٠ ب — ٣٣١ أ .

(٣) أنظر المخطوطة رقم ٢٨ سيناء — عربى — ورقة ٢٢١ ب .

عربى وموضوعها «مزامير» وتاريخها سنة ١٢٨٢ م ومترجمها عبد الله بن فضل ابن عبد الله مصدرها عكا (١) ؛ وأن المخطوطة رقم ٤٠ سيناء – عربى وموضوعها «مزامير وتسابيح» وتاريخها سنة ١١٦٧ م وكاتبها الراهب يوحنا بن صهيون الشيزرى ، كتبت بدير القديس مارسابا فى مدينة بيت المقدس (٢) ؛ وأن المخطوطة رقم ١٦٧ وموضوعها «رسائل بولس» وتاريخها سنة ٦٥٣ هـ/ ١٢٥٥ م وكاتبها هو الشماس يوحنا بن مهذب بن الشيخ مصدرها قبطى (٣) ، وهكذا .

وثمة ميزة أخرى لتلك القلوفونات ، هى أنها تكشف عن أسماء بعض رؤساء دير سيناء فى الحقبة الوسيطة من التاريخ . ولذلك أهمية خاصة ، ذلك أن الدير لا يحتفظ بسير وتراجم رؤسائه الذين تولوا ادارته خلال تلك الفترة من الزمن ، أو حتى بقوائم بأسمائهم . ولا نكاد نعرف عنهم وعن سيرهم شيئاً . وعلى هذا فان ورود اسم أى أسقف ممن تولوا شئون الدير فى تاريخ معين ، يعنى الشىء الكثير . هذا ، وبالتعاون بين الدارسين فى مجموعة أيقونات الدير وفى ثائقه ومخطوطاته العربية والأجنبية ، يمكن اعداد ثبت أقرب ما يكون إلى الكمال بأسماء رؤساء الدير فى العصر الوسيط . وتؤدى القلوفونات العربية خدمة كبرى فى هذا المجال .

على أية حال ، نضرب مثلا بالمخطوط رقم ٦١ سيناء – عربى ، وموضوعه «مزامير وتسابيح» ، وتاريخه سنة ١٦٤١ م ، وكاتبه يدعى الشماس سيلون الحمصى . فقد جاء فى القلوفون الخاص به أنه كتب بدير سيناء أيام رئاسة الأسقف كير يواصف أسقف الدير (٤) . وهذا يعنى أن الأسقف المذكور كان رئيساً على الدير عام ١٦٤١ م . ونعرف أيضاً

---

(١) أنظر المخطوط رقم ٣٤ سيناء – عربى – ورقة ١٩٢ ب .
(٢) أنظر المخطوط رقم ٤٠ سيناء – عربى – ورقة ٢٥٥ أ .
(٣) أنظر المخطوط رقم ١٦٧ سيناء – عربى – ورقة ١٣٢ أ – ب و١٣٢ ب . أنظر أيضا المخطوط رقم ١٠١ سيناء – عربى ، والمخطوط رقم ١٠٧ سيناء – عربى .
(٤) أنظر المخطوط رقم ٦١ سيناء – عربى ، ورقة ١٠٩ ب .

من المخطوط رقم ٨١ سيناء – عربى ، وموضوعه «الأناجيل الأربعة» ، وتاريخه سنة ١٣٢٣ م ، وكاتبه مجهول . أن أسقف الدير حينذاك كان يدعى جرمانوس(١) ؛ ومن المخطوط رقم ٨٢ سيناء – عربى وموضوعه أيضاً «الاناجيل الأربعة» ، وتاريخه سنة ١٢٨٧ م ، نعرف أن رئيس الدير فى ذلك التاريخ هو أنبا أرسانيوس (٢) ؛ ويعزز ذلك المخطوط رقم ١١٠ سيناء – عربى وموضوعه «الأناجيل الأربعة» ، وتاريخه سنة ١٢٨٦ م . إذ جاء فى القلوفون الخاص به أن أسقف الدير وقت تدوينه هو أنبا أرسانيوس السالف الاشارة اليه فى خاتمة المخطوط رقم ٨٢ (٣) ؛ وهكذا .

(سادساً) التقاويم أو التأريخ :

وفضلا عما تقدم ، فان كثيراً من هذه القلوفونات تتميز بأهميتها البالغة؛ إذ تعدد مختلف التقاويم من آدم إلى التقويم الاسلامى الهجرى . وتشكل جميع هذه التقاويم عناصر هامة للدراسة خصبة لموضوعات نادرة .

ولزيادة الايضاح نقول ان القلوفونات المذكورة تكشف عن أنواع عديدة من التأريخ ، منها تأريخ العالم المعروف بتأريخ آدم ، وتأريخ الاسكندر اليونانى ، والتقويم الميلادى اللاتينى المعروف بالتقويم الجريجوريانى ، والتأريخ القبطى المعروف بتقويم الشهداء أو تقويم دقلديانوس ، والتقويم الهجرى . وتأريخ العالم مشكوك فى صحته لسعة الفوارق بين ما أرخه كل من اليهود والنصارى . أما تأريخ الاسكندر فهو المبنى على الأشهر اليونانية ، ويعرف أيضاً بتاريخ السلوقيين ، ويبدأ من دخول سلوكس Seluçus مدينة بابل بعد وفاة الاسكندر المقدونى باثنى عشر سنة ، وقد أخذ به السريان واليهود ويعرف عندهم بتاريخ العقود . أما تأريخ الشهداء فهو يبدأ بالسنة الأولى من حكم الامبراطور الرومانى دقلديانوس الموافقة ٢٨٤ م أو ٥٩٦

(١) أنظر مخطوط رقم ٨١ سيناء – عربى ، ورقة ١٨٢ أ .
(٢) أنظر مخطوط رقم ٨٢ سيناء – عربى ، ورقة ٢٠٦ أ – ب .
(٣) أنظر مخطوط رقم ١١٠ سيناء – عربى ، ورقة ١٩٨ أ .

من تاريخ الاسكندر . وهذا التأريخ هو الذى اعتمد عليه قبط مصر حتى يومنا هذا . وعلى هذا يكون الفارق بين التقويم القبطى والتقويم الميلادى الغربى هو ٢٨٤ سنة . أما التقويم الميلادى فهو المعروف بالتقويم الجريجوريانى أو الجريجورى المعمول به حالياً فى الغرب . وأخيراً هناك التقويم الهجرى ، وهو يحسب من السنة التى هاجر فيها الرسول عليه السلام من مكة إلى المدينة وهى سنة ٦٢١ م ، ويسير هذا التقويم حسب الأشهر القمرية حيث تنقص مدة السنة ١١ يوماً تقريباً عن السنة الشمسية (١) .

وهناك قاعدة متبعة لتحويل كل سنة من أى تقويم من التقاويم المشار اليها إلى الأخرى من تقويم آخر . فمثلا لتحويل تاريخ آدم إلى الميلادى يستنزل منه ٥٥٠٨ سنة ، ولتحويل التاريخ القبطى إلى الميلادى يضاف اليه ٢٨٤ سنة ، ولتحويل السنة الميلادية إلى سنة هجرية يستنزل منها ٦٢٢ سنة (٢) ، وهكذا .

وإذا قمنا بجولة بين مصاحف المجموعة الخطية العربية التى بها قلوفونات مؤرخة ، نجد ما يشفى الغلة فى هذه الناحية الهامة . فثمة مخطوطات تتضمن قلوفونات بتاريخ كتابتها بأحد هذه التقاويم أو بأكثر من تقويم فى ذات الوقت . منها على سبيل المثال قلوفونات التأريخ الوارد بها من «سنين العالم» أو «الخليقة» فقط . مثال ذلك مخطوط رقم ١٨ سيناء — عربى ، وموضوعه «النبوات» ، وكاتبه القس افرام من سيناء . وقد جاء فى القلوفون الخاص به

(١) أنظر فى موضوع التقاويم وتحويل التواريخ المراجع التالية :

Mahler, E., Wüstenfeld-Mahler'sche Vergleichungs — Tabellen der mohammedanischen und christlichen Zeitrechnung, Leipzig, 1926; Haig, W., Comparative Tables of Muhammadan and Christian Dates, London, 1932.

محمد مختار : كتاب التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية — القاهرة (بولاق) ١٣١١ هـ . أنظر أيضا بروفنسال (ل .) : التأريخ — مقال بدائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) — المجلد الرابع ؛ جب (هـ .) : التاريخ — مقال بدائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) — المجلد الرابع ؛ هرتشو (ف .) : علم التاريخ — ترجمة عبد الحميد العبادى — القاهرة ١٩٣٧ .

(٢) وذلك بعد استبعاد الكسور بطبيعة الحال . وتفيد القلوفونات الواردة فى عدد من مصاحف المجموعة العربية فى الكشف عن هذه العمليات الحسابية .

أنه كمل الفراغ من المخطوط سنة ٦٨٥٨ لآدم (١) ، وبتحويلها إلى الميلادى تصبح سنة ١٣٥٠ م . وفى مخطوط رقم ٤٠ سيناء – عربى ، وموضوعه «مزامير وتسابيح» ، وكاتبه الراهب يوحنا صهيون الشيزرى ، قلوفون بانجازه سنة ٦٦٧٥ لآدم (٢) ، أى سنة ١١٦٧ م . أما المخطوط رقم ٣٧ سيناء – عربى ، وموضوعه «مزامير» . وكاتبه يدعى محاسن العريب ابن يعقوب بن حباب الماردى ، فقد جاء فى القلوفون الخاص به أن الفراغ من كتابته كان فى سنة ١٥٤٣ من الاسكندر اليونانى (٣) التى توافق سنة ١٢٣١م . والقلوفون الوارد بالمخطوط رقم ٤٢ سيناء – عربى ، وموضوعه «مزامير وتسابيح» ، وكاتبه ميخائيل بطرس السكندرى ، يحدد تاريخ كتابة المصحف بالتقويم الميلادى فقط ، وهو سنة ١٧٩٠ م (٤). بينما نجد فى المخطوط رقم ٤ سيناء – عربى ، وموضوعة «العهد القديم» ، وكاتبه يدعى جبريل بن موسى ، قلوفون بتاريخه بالهجرى فحسب ، وهو سنة ٣٥٣ هـ (٥) التى توافق سنة ٩٦٣ م .

وإذا كان بعض الكتاب قد استخدموا تقويماً واحداً سواء أكان هجرياً أم ميلادياً أم يونانياً أم من سنى العالم ، فهناك مصاحف جاءت بها قلوفونات متضمنة تاريخ انجازها والفراغ من كتابتها بأكثر من تقويم فى آن واحد . مثال ذلك مخطوط رقم ٣ سيناء – عربى ، وموضوعه «العهد القديم» ، وكاتبه يوسف بن سباط الآمدى السريانى ، وبه قلوفون بتاريخ كتابته بثلاثة تقاويم هى تقويم الاسكندر وتقويم آدم والتقويم الهجرى ، وهذا التاريخ هو سنة ١٦٧٠ للاسكندر التى توافق سنة ٦٨٦٨ لسنى آدم التى توافق

(١) مخطوط رقم ١٨ سيناء – عربى ، ورقة ٢٤٨ أ .
(٢) انظر مخطوط رقم ٤٠ سيناء – عربى ، ورقة ٣٥٥أ . راجع أيضا المخطوطات أرقام ٢٥ و ٢٨ و ٤٩ (سيناء – عربى) .
(٣) مخطوط رقم ٣٧ سيناء – عربى ، ورقة ٢٦ ب .
(٤) مخطوط رقم ٤٢ سيناء – عربى ، ورقة ١٧٢ ب .
(٥) مخطوط رقم ٤ سيناء – عربى ، ورقة ٢٨١ أ . انظر أيضا مخطوط رقم ٣٠ سيناء – عربى (ورقة ١٩٠ أ) وتاريخه سنة ٣٦٧ هـ التى توافق سنة ٩٧٧ م .

سنة ١٣٥٨ للمسيح(١) . ونجد تاريخ المخطوط رقم ٣٤ سيناء — عربى ، وموضوعه «مزامير» بكل من تقويم آدم والتقويم الهجرى ، إذ جاء فى خاتمته أن الفراغ منه كان سنة ٦٧٩٠ لكون العالم التى توافق سنة ٦٨٠ هـ (٢)، أى سنة ١٢٨٢ م .

ويتيح تأريخ المخطوط بأكثر من تقويم الفرصة أمام الباحثين للمقارنة العلمية الدقيقة بين هذه التأريخ المختلفة للتأكد من صحة تاريخ التدوين . ويحدث أحياناً أن نجد اختلافات عند تحويل هذه التواريخ بحيث تكون غير مطابقة لبعضها ، ونقف حائرين أمام أيها أقرب إلى الصحة . ومثل هذه الحالات — وهى على أية حال قليلة فى المجموعة العربية — تحتاج إلى محاولات اجتهادية من قبل المعنيين بمثل هذه الأمور .

(سابعاً) التعليقات الاضافية :

وإذا كان التلوفون جزءاً ختامياً أصيلا من المخطوط وبقلم كاتبه أو مترجمة أو ناقله أو ناسخه ، فالتعليقات هى إضافات دخيلة بقلم كتاب وقراء آخرين فى فترات أخرى لاحقة ، ومخطوط تختلف عن المخطوط المستخدمة فى النصوص الأصلية . ويمكن تصنيف التعليقات التى أمكن العثور عليها فى مصاحف المجموعة العربية على الوجه التالى :

(١) تعليقات مؤرخة تكشف عن أسماء أساقفة دير سيناء الذى لم يحتفظ لنا الدير بيانا بهم وبسيرهم . مثال ذلك مخطوط رقم ٢ سيناء — عربى ، وموضوعه «العهد القديم» وتاريخه سنة ٣٢٨ هـ/ ٩٣٠ م . وبه تعليق بقلم شخص يدعى «صلمون المسما اسقف جبل الله المقدس طورسينا» يفيد شراء المخطوط المذكور من دمشق ، وتاريخ التعليق سنة ٣٧٢ هـ

(١) مخطوط رقم ٢ سيناء — عربى ، ورقة ٣٣٠ ب — ٣٣١ أ وكذلك ورقة ٣٧٢ ب.
(٢) مخطوط رقم ٣٤ سيناء — عربى ، ورقة ١٩٢ ب . وراجع أيضاً، على سبيل المثال، المخطوطات أرقام ٣٥ و ٤٤ و ٥٠ (سيناء — عربى) .

التى توافق ٩٨٢ – ٩٨٣ م(١) . ونفهم من ذلك أن رئيس الدير فى أواخر القرن العاشر كان يدعى صلمون . وقد تتضمن مثل هذه التعليقات معلومات لا بأس بها عن رؤساء الدير تلقى المزيد من الضوء على تاريخ ادارتهم له .

(ب) تعليقات تفيد وقف المخطوطات على دير سيناء . والمجموعة العربية غنية بمثل هذه الوقفيات(٢) . مثال ذلك مخطوط رقم ٣٥ سيناء – عربى ، وموضوعه «مزامير وتسابيح» ، وتاريخه سنة ١٠٣٩ هـ/ ١٦٢٩ م ، وكاتبه يدعى «يوحنا ابن شماس عيسى عويسات من خدام كنيسة دمشق الشام» ، وبه تعليق يفيد أن المصحف موقوف على دير طورسينا . ونص الوقف كالآتى :

«وكتب برسم الأخ بالله المدعو بالاسم الرهبانى يواصف ابن عبد العزيز ابن تمام من أعيان دمشق الشام ويوميذا لابس الثوب الملايكى بدير طورسينا المقدس وكتبه ليقرا فيه مدة أيام حياته ومن بعد عينه يكون وقفا موبدا على دير طورسينا وكل من غيره عن الوقفية المذكورة أو بدله أو غيره أو أرهنه أو استرهنه أو باعه أو اشتراه كاينا من كان يكون محروم مفروز من مجد الله ومن السبعة مجامع المقدسة المسكونية ومن كل ما هو محق ويكون مار موسى والست كاترينا خصمه والعياذ بالله ...» (٣) .

---

(١) المخطوط رقم ٢ سيناء – عربى ، ورقة ١ ب . ونجد أمثلة أخرى عديدة لتعليقات مؤرخة وردت بها أسماء أساقفة الدير ، فى المخطوطات أرقام ٧٧ و٧٩ و ٩٧ (سيناء – عرب) .

(٢) أنظر لوحة رقم ٢ .

(٣) أنظر مخطوط رقم ٣٥ سيناء – عربى ، ورقة ١٧٩ ب . ويعطينا هذا النص فكرة طيبة عن تطور الإملاء والكتابة العربية يصح أن تكون موضوع دراسة مستقلة .

(ج) تعليقات تكشف عن مصادر بعض المخطوطات وأصولها. مثال ذلك المخطوط رقم ٣ سيناء – عربي ، وموضوعه «العهد القديم» وتاريخه سنة ١٣٥٨ م ، وبه تعليق على ورقة ١٢ يحدد مصدره ، ونص التعليق :

«صار من عوادي الزمان في نوبة العبد الفقير إلى الله تعالى عيسى بن سعيد الطبيب بمدينة الشام نفعه الله» (١) .

ومن ذلك نعرف أن أصل المخطوط من بلاد الشام .

(د) تعليقات بقلم قراء تفيد اطلاعهم على مصاحف المجموعة العربية ، وهي زاخرة بمثل هذه القراءات . وبعض التعليقات المذكورة مؤرخ والبعض الآخر بدون تاريخ . وهي تعيننا أحياناً على تحديد التواريخ التقريبية للمخطوطات الخالية من القلوفونات والغير معروف تاريخها . فضلا عما تتضمنه من معلومات وأخبار نافعة . نضرب مثلا بالمخطوط رقم ٤٨ سيناء – عربي ، وموضوعه «مزامير وتسابيح» ، وكاتبه مجهول ، وتاريخه غير معروف . ولكن أمكن تحديد التاريخ على وجه التقريب من تعليق مؤرخ يفيد اطلاع أحد القراء عليه (٢) . وبناء على ذلك أمكن تحديد تاريخ المخطوط بحوالي القرن الثالث عشر الميلادي .

(هـ) تعليقات تفيد شراء المخطوطات أو اقتنائها ، وهي تتضمن – عادة – اسم المشتري وتاريخ الشراء . مثال ذلك مخطوط

---

(١) أنظر أيضا ورقة ٣٣٠ ب – ٣٣١ أ من المصحف المذكور .

(٢) مخطوط رقم ٤٨ سيناء – عربي ، ورقة ٢٠٦ ب . راجع ، على سبيل المثال ، المخطوط رقم ١٣ سيناء – عربي ، ورقة ١٢٤ ب . والمجموعة العربية حافلة بهذا النوع من التعليقات .

رقم ١٤ سيناء — عربى ، وموضوعه «النبوات» ، وتاريخه حوالى القرن الرابع عشر ، وكاتبه مجهول ، وبه تعليق نصه :

«وقد اشترا هذا الكتاب النبوات المبارك بطرس ولد حنا بولص فى ٢٧ شهر نيسان المبارك مسيحية سنة ١٧٥٧ الموافقة للهجرة فى ٢٣ شهر شعبان سنة ١١٧٠» (١) .

(و) تعليقات تتناول معلومات عامة ، من أخبار وحوادث وسير وتراجم ومواليد ووفيات وأحداث ووقائع تاريخية هامة ووصفات طبية ونبذ فى الفلسفة والفلك والعلوم ، وما إلى ذلك . ففى المخطوط رقم ١ سيناء — عربى ، وموضوعه «العهد القديم» ، وتاريخه حوالى القرن التاسع ، وكاتبه مجهول ، تعليق تاريخى هام عن الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٢) . والمجموعة العربية غنية بهذا النوع من المعلومات . كذلك تتضمن العديد من الحواشى التى تشتمل على وصفات طبية» . نضرب مثلا لذلك بالمخطوط رقم ٩ سيناء — عربى ، وموضوعه «العهد القديم» ، وتاريخه القرن الثالث عشر ، وكاتبه مجهول ، وبه تعليق اضافى بخط يختلف عن الأصل فيه وصفة للملدوغين ، عبارة عن تعويذة تتضمن عبارات فى السحر غير مفهومة (٣) . وهكذا نجد فى تلك التعليقات العديد من الاشارات عن سلاطين مصر فى العصر الاسلامى الوسيط ، وعن فلاسفة الاغريق القدماء ومؤلفاتهم ، وعن بطاركة الاسكندرية

---

(١) مخطوط رقم ١٤ سيناء — عربى ، ورقة ١٢١ أ .

(٢) مخطوط رقم ١ سيناء — عربى ، ورقة ١٤٨ ب .

(٣) مخطوط رقم ٩ سيناء — عربى ، ورقة ١ أ . انظر أيضا مخطوطات رقم ٧ سيناء — عربى (ورقة ٧٤ ب — ٧٥ ب) ، ورقم ١٣ سيناء — عربى (ورقة ١ أ — ٢ أ) .

وأخبارهم . ونعثر أحياناً على تبذ قيمة فى علم الفلك والموسيقى وما إلى ذلك (١) .

ويلاحظ أن بعض هذه التعليقات قد يكون مدوناً على جانبى الغلاف الخاص بالمخطوط من الداخل . مثال ذلك الملاحظة المكتوبة على غلاف المخطوط رقم ٧ سيناء – عربى من الداخل ، وموضوعه «أخبار الأيام» ، وتاريخه حوالى القرن العاشر ، وكاتبه مجهول (٢) . وهناك أخيراً العديد من التعليقات التى تضمنتها المصاحف العربية الخطية بلغات غير عربية كالسريانية أو اليونانية ، وهى فى الغالب بقلم قراء اطلعوا على هذه المصاحف وسجلوا ملاحظاتهم وأختامهم عليها (٣) .

(ثامناً) التأثيرات العربية فى المجموعة :

تبدو هذه التأثيرات فى أوضح أشكالها فى المخطوطات العربية التى تتزين بنقوش ورسوم وزخارف ملونة على هيئة طيور وورود وأزهار وتوريقات نباتية ، أو إطارات وأفاريز على النسق العربى . وقد أشرنا إلى ذلك فى شىء من التفصيل عند الحديث عن المصاحف العربية المصورة (٤) .

---

(١) المخطوط رقم ٢٤١ سيناء – عربى ، وموضوعه « كتب كنسية لخدمة القداس » وتاريخه حوالى سنة ١٣٦٥ م وكاتبه مجهول ، به تعليق (ورقة ١٣٦ ب) يتضمن قبلة كرونولوجية زمنية خاصة برحلة الى الأراضى المقدسة . والتعليق بخط يختلف عن الخط المستخدم فى نص الأصل ، وتاريخه سنة ٦٨٧٣ لآدم التى توافق سنة ١٣٦٥ م .

(٢) مخطوط رقم ٧ سيناء – عربى ، وعنوان الملاحظة المذكورة « خبر عن الخراب الأول ليبخذ اله [كذا] » ، وهى بخط يختلف عن الأصل .

(٣) أنظر مخطوط رقم ٣ سيناء – عربى ، وموضوعه « العهد القديم » ، وتاريخه سنة ١٣٥٨ م (ورقة ٢٧٢ ب و ٢٧٣ أ) ؛ وكذلك مخطوط رقم ٢١ سيناء – عربى ، وموضوعه « مزامير وتسابيح » ، وتاريخه حوالى القرن الحادى عشر ، وكاتبه مجهول (أوراق ١ – ٢ و ١٩٦ – ١٩٧) .

(٤) أنظر ما سبق الاشارة إليه فى هذا المقال عن المخطوطات العربية المصورة . راجع أيضا المخطوطات رقم ٣٢ (ورقة ١٣٢ ب) ، ورقم ١٧١ (ورقة ١ ب) ، ورقم ١٠٤ (أوراق ١ أ و ٨٣ أ و ١٣٥ أ و ٢٢٥ أ) ، وهكذا . أنظر أيضا لوحة رقم ١ .

كذلك يلاحظ الطابع العربي واضحاً في كثير من المخطوطات العربية المسيحية التي تبدأ بالبسملة «بسم الله الرحمن الرحيم» بدلا من «بسم الآب والأبن والروح القدس» . والأمثلة على ذلك كثيرة . إذ تبدأ أسفار العهد القديم في كل من المخطوطين رقمي ١ و ٢ بالبسملة ، وبالمثل تبدأ «رسائل بولس» من العهد الجديد في المخطوط رقم ١٥٧ سيناء – عربي ، «بسم الله الرحمن الرحيم» (١) .

مثال ذلك سفر التكوين في المخطوطة رقم ٢ وموضوعها «العهد القديم» ، وتاريخها سنة ٣٢٨ هـ/ ٩٣٠ م ، وكاتبها مجهول، إذ يبدأ كالآتي :

«بسم الله الرحمن الرحيم نبتدى بعون الله ونكتب أول سفر من التوراه ان اول ما خلق الله السما والأرض الخ .. » (٢)

وترجع هذه المخطوطات إلى الفترة المبكرة بصفة عامة .فتاريخ المخطوط الأول حوالى القرن التاسع ، والثاني سنة ٣٢٨ هـ/ ٩٣٠ م ، والثالث يرجع إلى القرن العاشر الميلادى . أى أن المخطوطات العربية المسيحية التي تبدأ بالبسملة وينتهي بعضها بشكر الله ، ترجع إلى القرنين التاسع والعاشر للميلاد ، وكانت الفتوحات العربية قد امتدت منذ العقود الأخيرة من القرن السابع وخلال القرن الثامن للميلاد ، وذلك كضرورة سياسية وحربية اقتضتها سلامة الدولة العربية الفتية الناهضة وأمنها ، وتأميناً لرسالتها . ودخلت الأملاك الشرقية للدولة البيزنطية في نطاق الدولة العربية ، وغدت شبه جزيرة سيناء بديرها تابعة للسيادة العربية وسياستها السمحة المتسامحة . ويبدو أن ذلك قد ترك أثره في استهلال المخطوطات العربية المسيحية العتيقة التي يحتفظ بها الدير بالبسملة ، وفي تأريخ بعضها بالتقويم الهجرى .

---

(١) مخطوط رقم ١ سيناء – عربي (ورقة ٥٩ ب و ٩٥ أ) ؛ ومخطوط رقم ٢ سيناء – عربي (أوراق ٢ أ و ١٤١ ب و ١٧٩ أ و ٢١٦ ب) ؛ ومخطوط رقم ١٥٧ سيناء – عربي (أوراق ١ أ و ٥ ب و ٢٢ ب و ٣٦ أ) .

(٢) أنظر ورقة ٢ أ من المخطوط المذكور . أنظر أيضا المخطوط رقم ٣١ سيناء– عربي، وموضوعه " مزامير وتسابيح" وتاريخه ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م وكاتبه مجهول (ورقة ٣ب).

كذلك أطلق على كثير من مخطوطات المجموعة العربية لفظة «مصحف» بدلا من «انجيل» أو «بشارة» أو «سفر» . مثال ذلك مخطوط رقم ٦٣ سيناء — عربي وموضوعه «مزامير وتسابيح» ، وتاريخه حوالى القرن الثالث عشر ، وكاتبه يدعى الراهب مكاري . إذ استهل كتاب «بستان الرهبان» الوارد في المخطوط المذكور بالآتي :

«بسم الله الخالق الحي الناطق — نبدا بعونه الله نكتب مصحف البستان لان في البستان جميع الأشجار وفي هذا المصحف جميع الآثار الروحانية النافعة للتعزي» (١) .

وهكذا طعمت اللغة العربية بشبابها المنطلق، وبرونقها وبهائها ، وبحصيلتها اللغوية الضخمة ، وأسلوبها الجزل ، وتعبيراتها المنسابة المتدفقة، ومفرداتها الغنية ، مصاحف المجموعة العربية المسيحية بسيناء . فهي تزود تلك المصاحف بألفاظ مثل «الله» و «المصطفى» و «فاتحة انجيل كذا» وغيرها ، بالاضافة لذ التعبير العربي السليم . (٢)

(تاسعاً) الحالة العامة للمخطوطات :

بعض هذه المصاحف لا يزال بحالة جيدة لم تؤثر فيه عاديات الزمن. ومع ذلك فهناك عدد كبير منها أصابه البلبان والتآكل والتمزق ، كما بليت

---

(١) أنظر ورقة ٣٠٧ ب من المصحف المذكور . وجد مثلا آخر في المخطوطة رقم ٦٩ سيناء عربي ، إذ يوجد على جانب الهامش الأيسر من ورقة ٥ أ تعليق بخط نسخي واضح منقط ومختلف من الأصل يفيد وقف المخطوط على دير سيناء ، ونص الوقفية كالآتي : «هذا المصحف الشريف وقف على دير سيناء ما لاحد سلطان من الله يخرجه منه . . . ومن خالف يكون محروم» . أنظر لوحة رقم ٢ .

(٢) أنظر على سبيل المثال ، مخطوط رقم ٦٨ سيناء — عربي وموضوعه «الأناجيل الأربعة» وتاريخه حوالى القرن الرابع عشر وكاتبه مجهول (ورقة ٥ ب) ؛ ومخطوط رقم ٨١ في نفس الموضوع وتاريخه سنة ١٣٢٣ م وكاتبه مجهول (ورقة ٤ أ) ؛ ومخطوط رقم ٩٣ سيناء — عربي في ذات الموضوع وتاريخه حوالى القرن الثالث عشر وكاتبه غير معروف (ورقة ١٠ ب) .

كثير من أوراقه وذبلت الكتابة عليها مما يصعب معه قراءتها واستجلاء معانيها ، وبعضها غدت أوراقها هشة مشققة مقطوعة أو مزيتة بها بقع فى أكثر من موضع . وتتضح البقع بكثرة فى المواضع التى استخدم فيها الايهام لقلب الصحائف (١) . وازاء هذا الوضع اضطر رجال الدير فى العصور المتعاقبة إلى ترميم المخطوطات البالية بقصاصات من الورق أو الرق بقصد الحفاظ عليها (٢) . ومن أهم أسباب التلف الذى أصاب عدداً من مخطوطات المجموعة العربية ، مثلما أصاب غيرها من مصاحف المجموعات الأجنبية الأخرى التى توجد بالدير ، عامل الزمن ، وفعل الرطوبة، وقرض الفئران ، فضلا عن تقلبات الجو والاهمال (٣) .

كذلك نوحظ أن كثيراً من هذه المصاحف ناقصة من البداية أو من النهاية ، أو من بدايتها ونهايتها على السواء (٤) ؛ وأن أوراق بعضها بياض فى الأصل ، أى خالية من الكتابة ، وبخاصة عند بداية المخطوط أو نهايته(٥). كذلك استبدلت بعض الأوراق القديمة فى عدد من هذه المصاحف بأوراق أخرى أحدث منها ، اما بسبب ضياع النصوص الأصلية أو تلفها الشديد. وتكون الأوراق المستحدثة — عادة — مكتوبة بخط يختلف عن الخط المستخدم

---

(١) أنظر — مثلا — المخطوطات العربية بسيناء أرقام ٣، ٤، ١٦، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠ . أنظر أيضا لوحة رقم ٦ .

(٢) مثل المخطوط رقم ٣٠ سيناء — عربى ، وهو مفكك وقد أعيد تغريته من الجانبين برقتين أحدث من ورق المخطوط ؛ والمخطوط رقم ٣١ سيناء — عربى الذى أعيد تغريته هو الآخر بأربع صحائف من الرق عليها طقوس كنسية باللغة اليونانية .

(٣) أنظر لوحة رقم ٦ ولوحة رقم ٧ .

(٤) من المخطوطات الناقصة من بدايتها نذكر المخطوطات أرقام ١، ٧، ١٠، ١٤، ٣٤، ٤٢، ٤٣ ، ومن المخطوطات الناقصة من نهايتها تلك التى تحمل أرقام ٢، ١٥، ٤٦ . أما المخطوطات أرقام ٦، ١٢، ١٧، ٢٠، ٢٦، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٨، ٤١ ، فهى ناقصة من البداية والنهاية . وهذه الحالات نسوقها على سبيل المثال لا الحصر .

(٥) أنظر ، مثلا ، مخطوطات رقم ١ (ورقة ٥٩ ب) ، ورقم ٣ ، ورقم ٢٢ (ورقة ٢٦٤ ب و ٢٦٨ ب) ، ورقم ٢٧ (ورقة ١٤٦) ، ورقم ٤٢ ، ورقم ٢٣٠ (أوراق ٤٥ ب و ٤٦ ا و ٨٣ ا) ، ورقم ٢٢٦ (ورقتا ٩٦ ب و ٩٧ ا) .

فى النصوص الأصلية وفى عصور لاحقة (١) ، وقد يختلف مقاسها عن مقاس المخطوط نفسه .

وأخيراً هناك عدد قليل من المصاحف العربية تبين وجود أوراق ناقصة من داخلها ، وهى اما أن تكون منزوعة منها أو فقدت عند التجليد (٢). فضلاً عن وجود بعض الأوراق فى عدد من هذه المخطوطات فى غير أماكنها الطبيعية (٣) . وأمكن الاستدلال على ذلك من التسلسل الرقمى للصحائف أو من تسلسل الكتابة نفسها . ولعل هذا الاضطراب فى التسلسل قد حدث أثناء عمليات التجليد .

(عاشراً) نماذج من أهم مخطوطات المجموعة العربية :

يتمتع عدد غير قليل من مصاحف المجموعة العربية بأهمية بالغة . ولا يتسع المجال هنا للتعرض لهذه المصاحف بإسهاب وتفصيل ، وانما نكتفى بعرض سريع مركز لاثنين منها .

١ — مخطوط رقم ١ سيناء — عربى :

موضوعه «العهد القديم» ، ومقاسه ٢٣ × ١٦ سم ، ومكتوب على الرق ، وعدد أوراقه ١٤٨ ، ويتراوح عدد الأسطر فى الصفحة ما بين

---

(١) أنظر ، مثلاً، مخطوط رقم ١٠ (ورقة ٤) ، ومخطوط رقم ١٣ (الورقتان الأولى والثانية) ، ومخطوط رقم ١٧ (الأوراق الثمانية الأخيرة) ، ومخطوط رقم ٢٣ (ورقة ١٨٧) ، ومخطوط رقم ٢٩ (ورقة ١١٤) ، ومخطوط رقم ٤٦ (ورقتا ٢ — ٣) ، ومخطوط رقم ٤٨ (الأوراق الستة الأولى وورقتا ١٢٥ — ١٢٦ والورقتان الأخيرتان) .

(٢) أنظر مخطوط رقم ٩ الذى توجد به ثمان ورقات ممزقة ومنتزعة بعد ورقة ٣٤١ ؛ ومخطوط رقم ١٤ الذى تبين وجود أوراق مفقودة منه فيما بين ورقتى ١٢٩ و ١٣٠ ؛ ومخطوط رقم ٣٦ الذى فقدت أوراق منه فيما بين ورقتى ٢ و ٣ ، وهكذا .

(٣) أنظر مخطوط رقم ١٠ وموضوعه « العهد القديم » ؛ إذ نلاحظ أن الورقة رقم ٣ فى غير مكانها الطبيعى من حيث تسلسل الكتابة ، والمفروض أن تكون بعد ورقة رقم ٥ حتى يستقيم المعنى .

٢٣ و ٢٦ سطراً . وهو مدون بخط كوفي منقط جزئياً بمداد مختلف عن الأصل ، وربما أضيفت النقط في عصر لاحق للمخطوط . ويلاحظ أن العناوين ورءوس الموضوعات معلمة بالمداد الأحمر . وتاريخه حوالي القرن التاسع الميلادي . وهو يحتوي على جزء من سفر أيوب وعلى نبوات دانيال وأرميا وحزقيال . والهام في الموضوع أن هذه الترجمة العربية الدقيقة الجيدة للمخطوط يمكن أن تكون هي ومثيلاتها من التراجم العتيقة للعهد القديم، أساساً طيباً لمراجعة التراجم العربية الحديثة المعتمدة التي تحت أيدينا .

وما يقال عن هذا المخطوط يقال أيضاً عن المخطوطين رقمي ٣ و ٤ سيناء – عربي ، وهما في نفس الموضوع . الأول مقاسه ٢٥× ١٧,٥ سم ، ومكتوب على ورق مزيت ، وعدد أوراقه ٣٧٣ ، وعدد الأسطر في الصفحة ١٦ سطراً ، والخط نسخي جيد ، وتاريخه سنة ١٣٥٨ م . والثاني مقاسه ٢٦,٥× ١٦ سم ، ومكتوب على ورق ، وعدد أوراقه ٢٨١ ، ويتراوح عدد الأسطر في الصفحة الواحدة ما بين ١٦ و ١٩ سطراً ، وهو مدون بخط نسخي ردىء ، وتاريخه سنة ٣٥٣ هـ/٩٦٣ م .

ويلاحظ أن هذين المصحفين يختلف كل منهما عن الآخر ، والاثنان بدورهما مختلفان عن المخطوط رقم ١ ، والمصاحف الثلاثة تختلف في أسلوبها وترجمتها ولغتها عن النسخة المطبوعة المعتمدة . وتحوي مكتبة الدير العديد من أمثال هذه النسخ الخطية العتيقة التي تتميز بأهميتها الفائقة ، وهي اما تراجم جيدة عن أصول قديمة يونانية أو سريانية (١) ، أو نصوص أصلية

---

(١) أنظر ، مثلا ، مخطوط رقم ٣ سيناء – عربي وموضوعه « العهد القديم » وتاريخه ١٣٥٨ م وكاتبه يوسف بن سباط الآمدي السرياني ، ويتضح من تعليق إضافي به (ورقة ٣٣٠ ب – ٣٣١ ا) أنه نقل من السرياني والعبراني إلى العربية ، والمخطوط رقم ٣٠ سيناء – عربي وموضوعه « مزامير وتسابيح » وتاريخه ٩٧٧ م ، وهو عبارة عن ترجمة طيبة تختلف عن التراجم الأخرى للعهد القديم ، والمخطوط رقم ٣٤ سيناء – عربي وموضوعه « مزامير » وتاريخه ١٢٨٢ م وواضح أن ترجمته العربية مأخوذة عن اليونانية القديمة مع شروح مدونة بالمداد الأحمر متداخلة بين الاصحاحات ، والمترجم هو عبدالله بن الفضل بن حيدالة (أنظر ورقة ١٩٢ ا – ب) .

وليست مجرد نسخ منقولة عن غيرها (١) . والاعتماد على مثل هذه المصاحف العتيقة يفيد كثيراً فى تنقيح وتصويب النسخة العربية المنشورة التى تحت أيدينا (٢) .

٢ — مخطوط رقم ٥١٤ سيناء — عربى :

موضوعه «سير قديسين ومواد أخرى متفرقة ذات طابع دينى» ، والورق مقاسان كبير وصغير : الكبير ٢٣× ١٥ سم والصغير ١٩×١٢,٥سم . وهو مكتوب على رق، وعدد أوراقه ١٧٥ ، ويتراوح عدد الأسطر فى الصفحة ما بين ٢١ و ٢٧ ، والخط كوفى متأخر ، وتاريخه حوالى القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الميلادى ، وكاتبه يدعى توما الدلماطى .

وهذا هو المخطوط الذى أطلقت عليه بعثة مكتبة الكونجرس وجامعة الاسكندرية عام ١٩٥٠ اسم «ابن البعثة الذى يقدر بمليون دولار» ، ومكتشفه الدكتور عزيز سوريال عطية أحد أعضاء البعثة المذكورة ومحرر المجموعة العربية بها . ولا شك أن بعثة ١٩٥٠ قد توجت عملها بهذا الكنز الثمين (٣) .

---

(١) أنظر مخطوط رقم ٤٨ سيناء — عربى وموضوعه «مزامير وتسابيح» وتاريخه حوالى القرن الثالث عشر . هذا ، وحول موضوع ترجمة الكتاب المقدس فى مصر والعراق والشام إلى اللغة العربية ، أنظر مقال الدكتور مراد كامل : الكنوز الخطية بدير سانت كاترين بطور سينا — مجلة السياسة المصرية — العدد ١١٦ (١٩٦٦) ص ٣٥ — ٣٦ .

(٢) أنظر احمد محمد عيسى : مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بسيناء — ص ١٠٥ .

(٣) تعرض الدكتور سوريال هذا المصحف للعرض بالتفصيل فى محاضرة قيمة ألقاها بمكتبة الكونجرس بواشنطون عام ١٩٥١ عن بعثة ١٩٥٠ واكتشافاتها ومنجزاتها . وقد أقيم بمكتبة الكونجرس فى تلك المناسبة معرض اشتمل على نماذج وعينات من المجموعة العربية من وثائق ومخطوطات . أنظر تفاصيل المعرض وملخص المحاضرة فى النشرة المصاحبة «أخبار مصر» " Egypt News, Vol.3, No.?, April 1 51 (Washington)".

كذلك ظهر للدكتور سوريال مقال عن المخطوط رقم ٥١٤ سيناء — عربى بعنوان :

Atiya, A. S., " The Codex Arabicus of Mt. Sinai," The Indian Archives, Vol. VII, No. 1 - January - June, 1953, pp 1 - 28 & plates.

والدكتور سوريال فى صدد نشر المصحف المذكور نشرا علميا محققا . راجع أيضا ما ذكره الدكتور مراد كامل عن هذا المصحف الهام فى مقاله «الكنوز الخطية بدير سانت كاترين بطور سينا» ص ٣٤ .

وتعتبر هذه النسخة الخطية فريدة من نوعها فى العالم ، إذ أزيلت الكتابة الأصلية من صحائف الرق وكتبت موضعها كتابة جديدة ، ولا تزال آثار المحو والازالة باقية حتى اليوم . ونكاد نتحسس الكتابة السريانية فى المخطوط من أوله إلى آخره . كذلك اكتشف فى بعض صحائفه أربع طبقات مختلفة من الكتابة فى ذات الصحيفة الواحدة ، هى اليونانى القديم والسريانى والكونى بنوعيه المتقدم والمتأخر (١) .

ويشترك مع المخطوط رقم ٥١٤ فى الأهمية المخطوط رقم ٥٨٨ سيناء — عربى ، وموضوعه «النبوات» أو «البروفيتولوجية» ، ومقاسه ٢٣×١٧ سم ، ويتألف من ٦٩ ورقة على الرق ، ويتراوح عدد الأسطر فى الصفحة ما بين ١٩ و ٢١ سطراً ، وتاريخه حوالى القرن العاشر الميلادى ، وكاتبه مجهول . وكان هذا المخطوط فى الأصل مدوناً بالسريانية ، وقد أزيلت الكتابة السريانية وكتبت فوقها النبوات بالعربية ، ويمكن أن نلمس السريانى الماحى بين السطور (٢) .

هذا ، وظاهرة وجود طبقات من الكتابة بعضها فوق بعض فى قليل من هذه المصاحف ظاهرة تحتاج إلى دراسة وبحث (٣) . ولعل قلة الرق

---

(١) أنظر ، مثلا ، أوراق ١٩ ب — ٢٠ أ و ٣٩ أ و ٤٢ أ و ٤٧ أ — ب و ٥١ أ و ٥٢ أ — ب و ٥٨ أ — ب و ٥٩ أ و ٨٣ أ و ١٣٠ ب و ١٣٥ أ .

(٢) أنظر أوراق ٢ ب و ٣٣ أ و ٣٩ أ من المخطوط المذكور . وقد ظهر لى مقال بالانجليزية عن هذا المخطوط عنوانه :

Youssef, J.N., "Prophetologion : An Arabic Manuscript in the Library of the Monastery of St. Catherine in Sinai, No. 588— A Survey and Critical Study," Cahiers d' Alexandrie, Série 4, No. 4, 1966, 1—10 & plates.

(٣) يطلق عليها الاستاذ أحد عيسى اسم (مخطوطات مغسولة) ، ويقول إنه من الأمور المعروفة فى العصور السابقة اتجاه البعض إلى غسل المخطوطات واعادة الكتابة عليها ، ولا يكون ذلك ميسورا إلا حين يكون النص القديم مكتوبا على الرق ، فتغسل الصحيفة من الحبر القديم لتكون معدة للكتابة عليها من جديد . أنظر أحد عيسى : مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بسيناء ج ١ ص ١٠٧ . ويلاحظ أن اشارة الأستاذ عيسى الخاصة بالمخطوطات المغسولة إشارة عامة مريحة لا تتضمن أمثلة من المجموعة الخطية العربية أو غيرها من مخطوطات الدير .

وندرته وغلو ثمنه فى تلك الأزمنة البعيدة هو الذى دفع رجال الدين وغيرهم من الكتاب والنقلة والمترجمين إلى اعادة استخدام المصاحف العتيقة ، وبخاصة اليونانية والسريانية للكتابة عليها من جديد . وكانت الطريقة المتبعة هى طريقة المحو والازالة ثم الكتابة فوق الطبقة الممحاة ، وقد تصل الطبقات فى ذات الصحيفة الواحدة إلى ست طبقات فوق بعضها ، يمكن تتبع آثارها والتعرف على مضمونها . وقد تصبح الصفحة من كثرة المحو والازالة غير صالحة للاستعمال مرة أخرى ، فيتركها الكاتب وعليها آثار الطبقة الممحاة دون أن يستخدمها (١) .

فهارس المجموعة العربية :

منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى أواسط القرن العشرين وضعت عدة فهارس للمجموعة الخطية العربية كلها أو جانب منها . وفيما يلى بيان بهذه الفهارس حسب ترتيب ظهورها .

(أولا) فهرست مسز مارجريت دنلوب جبسون Mrs. Margaret Dunlop Gibson ، الذى ظهر فى لندن سنة ١٨٩٤ تحت اسم :

Gibson, M.D., Catalogue of the Arabic Manuscripts-Studia Sinaitica III. London, 1894.

ويلاحظ أن هذا الفهرست يتضمن بعض مخطوطات المجموعة العربية وليس كلها (٢) .

---

(١) أنظر عن ذلك مراد كامل : الكنوز الخطية بدير سانت كاترين بطور سينا — ص ٣٤ . هذا ، وعدد المخطوطات التى أزيلت الكتابة الأصلية عنها وأعيد الكتابة عليها بالعربية قليل للغاية ، ويمكن حصر هذه المصاحف وإعداد دراسة مستقلة خاصة بها وبمحتويات النصوص الأصلية الممحاة .

(٢) وردت عناوين بعض المخطوطات فى كتالوج مسز جبسون غير مطابقة للواقع . إذ جاء المخطوط رقم ٤ سيناء — عربى فى كتالوج جبسون (ص ١) تحت اسم (كتاب مقالات عن سيرة ابراهيم) فى حين أن موضوعه الأصلى هو (العهد القديم) . وكذلك بالنسبة لمخطوط رقم ٧ سيناء — عربى ، اذ ورد فى كتالوج جبسون تحت اسم (خبر داود الملك) ، بينما موضوعه هو (أخبار الأيام الأول والثانى) ، وهكذا .

(ثانياً) فهرست الدكتور مراد كامل

كلفت وزارة التربية والتعليم (المعارف العمومية سابقاً) الدكتور مراد كامل بعمل فهرست كامل لمخطوطات سيناء . وقد قام سيادته بتقسيم المخطوطات إلى مجموعات ، وفهرسة كل مجموعة حسب موضوعها . وظهر هذا الفهرست فى جزءين فى القاهرة سنة ١٩٥١ تحت اسم :

مراد كامل (الدكتور) : فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سينا — جزءان — القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥١ .

وهو فهرس عام للمجموعات الخطية باللغات الشرقية والغربية ، بعد استبعاد الفاقد والمطبوع منها ، وكذلك الوثائق الخطية العربية والتركية . وقد وردت المجموعة العربية فى الجزء الأول منه (١) .

(ثالثاً) فهرست بعثة مكتبة الكونجرس وجامعة الاسكندرية عام ١٩٥٠ ، وقد ظهر فى واشنطون سنة ١٩٥٢ تحت العنوان التالى :

Clark, K.W.,] Checklist of Manuscripts in St. Catherine's Monastery, Mount Sinai, microfilmed for the Library of Congress, 1950. Washington, 1952.

---

(١) أنظر مراد كامل : فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سينا — ج ١ — ص ١٩ — ٨٣ ، ويلاحظ أن الدكتور مراد كامل عندما قام بتحديد عناوين المخطوطات اهتم أساسا بالصفحة الغالبة على كل مخطوط أو الموضوع الأول منه . بمعنى أنه اذا تضمن مخطوط ما عدة موضوعات متنوعة قد تصل الى عشرة أو عشرين موضوعا ، فالموضوع الأول هو الذى يحمل — فى الغالب — اسم المخطوط دون باقى البنود الواردة فيه . مثال ذلك مخطوط رقم ١١ سيناء — عربى ، وموضوعه (النبوات) ، وتاريخه سنة ١١١٦ م (أنظر مراد كامل : الفهرست — ج ١ — ص ٣٧) . وبالرجوع إلى المخطوط اتضح أنه يحتوى على تسعة مواضيع مختلفة أولها النبوات ، وتتلو النبوات مواد أخرى مختلفة تماما وتتميز بأهميتها فى ذات الوقت . وتنطبق هذه الملاحظة كذلك على المخطوطات العربية بسيناء أرقام ٢١ ، و٢٢ ، و ٢٣ (أنظر مراد كامل : الفهرست — ج ١ — ص ٢٠) ، والواقع أنها تتضمن موضوعات أخرى متنوعة الى جانب (المزامير والتسابيح) ، وهكذا .

وهو يقتصر على المخطوطات التي قامت بعثة ١٩٥٠ بتصويرها بالميكروفيلم فحسب ، بما في ذلك المخطوطات الغربية التي صورتها البعثة . والبيانات التي تضمنها هذا الفهرست لا تزيد عما ورد في فهرست كل من الدكتور مراد كامل ومستر جيبون .

(رابعاً) فهرست الدكتور عزيز سوريال عطية

وقد طبع في بلتيمور سنة ١٩٥٨ تحت اسم :

Atiya, A. S., The Arabic Manuscripts of Mount Sinai-A Forward by W. Phillips. Baltimore, 1958.

وهو يتضمن فهرست للمخطوطات الغربية الموجودة بالدير .

ويلاحظ ، بصفة عامة ، أن البيانات المتعلقة بالمخطوطات العربية التي وردت في الكتالوجات الأربعة سالفة الذكر ، بيانات سريعة مقتضبة اقتصرت على ذكر الرقم المكتبي للمخطوط ، وموضوعه مجملا ، وعدد صفحاته ، ومقاسه ، وتاريخه ، ونوع الورق المستعمل . والواقع أن بيانات كل مخطوط لا تزيد عن سطر واحد . ومع ذلك يجب أن نذكر بأن هذه المجهودات الطيبة السابقة تعتبر خطوة في الطريق نحو عمل فهارس تفصيلية كاملة متكاملة للمجموعة الخطية العربية المحفوظة بالدير .

وقد أعد هذه الفهارس بالفعل الدكتور عزيز سوريال عطية باللغة الانجليزية أثناء عمله كمحرر للمجموعة العربية خلال بعثة ١٩٥٠ ، وهي تحمل العنوان التالي :

"Atiya, A.S., Catalogue Raisonné of the Mount Sinai Arabic Manuscripts-Complete Analytical Listing of the Arabic Collection preserved in the Monastery of St. Catherine on Mt. Sinai."

ويقوم كاتب هذا المقال بنقله إلى العربية تحت اسم :

«الفهارس التحليلية لمخطوطات طور سينا العربية ــ فهارس كاملة مع دراسة تحليلية للمخطوطات العربية بدير القديسة كاترينه بطور سيناء .

وسوف تقع فى عدة مجلدات مزودة بالصور واللوحات الفنية والخطية (١).

وفى اعتقادى أن هذه الفهارس التفصيلية سوف تحتل المكانة اللائقة بها بين المجموعات البليوجرافية المعاصرة ، لأنها تمثل ، فى الواقع ، أول دراسة دقيقة نقدية موضوعية شاملة ومحددة لمحتويات تلك المجموعة من المخطوطات العربية ذات الشهرة العالمية المحفوظة بدير سانت كاترين . وفى اعتقادى أيضاً أن اعداد هذا العمل الكبير بحيث يكون فى متناول كافة الباحثين من المستشرقين والمعنيين بالدراسات العربية والمسيحية والتاريخية والفلسفية واللاهوتية فى شتى أنحاء العالم — سوف يتيح لكل منهم امكانيات خصبة واسعة فى مجالات البحث العلمى . وغنى عن القول أن صدور هذه الفهارس التحليلية يعنى — بالاضافة إلى ما تقدم — تسجيل هذا التراث العربى القومى الضخم حفظاً له من العبث والضياع داخل بقعة عزيزة غالية من أرض الوطن .

كلمة ختامية :

وختاماً فان الأفكار التى تناولناها بالعرض والتحليل فى هذا المقال ، يصح أن تكون كل فكرة منها مجالا لدراسة مستفيضة مستقلة قائمة بذاتها تخدم ناحية من نواحى البحث العلمى أو تسد نقصاً فى زاوية من زواياه .

ان مخطوطات سيناء العربية التى تبلغ قرابة الستمائة ، معين لا ينضب للباحثين فى مختلف المجالات بصفة عامة ، وفى تاريخ العصور الوسطى وحضارتها بصفة خاصة . ولا شك أن البحث والتنقيب فيها سوف يضيف الكثير إلى العلم والتاريخ ، وسوف يقدم مادة خصبة قيمة قد تغير الكثير من الشائع المألوف عن عدد من الظواهر والحركات التاريخية التى يكتنفها النقص ويشوبها الغموض ، مما يهيىء السبيل للوصول إلى آراء وأفكار وأحكام وقواعد صحيحة ، تنير الطريق أمام الدارسين من طلاب العلم .

---

(١) لم ينشر الدكتور سوريال فهارسه التحليلية هذه بالانجليزية ، ويقوم كاتب هذا المقال بنقلها الى العربية عن الاصول الخطية الانجليزية التى وضعها السيد المؤلف وبموافقته .

بيـان اللوحات

لوحة رقم ١

مخطوط رقم ٦٨ سيناء – عربى ، ورقة ١٨٥ – ب

موضوع المخطوط «الأناجيل الأربعة» – مقاسة ١٤,٨ × ٩,٨ سم – عدد أوراقه ٤٠٦ – مكتوب على ورق – كاتبه مجهول – تاريخه حوالى القرن الرابع عشر .

تكشف اللوحة عن التالى :

(ا) الخط : نسخى ممتاز بالبنطين الصغير والعريض ، وكتابة تعليق فى الوسط .

(ب) الضبط والتنقيط : المخطوط منقط ومضبوط من أوله إلى آخره .

(ج) الأثر العربى : المخطوط يعتبر من أجمل المصاحف العربية المصورة التى يحتفظ بها الدير . فهو يتميز برسومه البديعة المذهبة على شكل توريقات نباتية استخدم فى تلوينها الأزرق اللازوردى ، ويبدو الأثر العربى واضحاً فيها .

لوحة رقم ٢

مخطوط رقم ٦٩ سيناء – عربى ، ورقة ١٥

موضوع المخطوط «الأناجيل الأربعة» – مقاسة ١٨,٥ × ١٤ سم – عدد أوراقه ١٥٦ – مكتوب على رق – كاتبه يدعى القس بطرس – تاريخه سنة ١٠٦٥ م .

تتميز اللوحة بما يلى :

(ا) الخط : نسخى عتيق جيد متسق – العناوين ورءوس الموضوعات بالمداد الأحمر .

(ب) البطائن : أعيد تقوية المخطوط بأربع صحائف فى بدايته وثلاث عند نهايته عليها طقوس كنسية باللغة اليونانية القديمة .

(ج) وقف المخطوط على الدير : نص الوقفية مدون على جانب الهامش الأيسر من ورقة ١ ب .

(د) الأثر العربى : يبدو فى استخدام تعبير «المصحف الشريف» فى نص الوقفية .

لوحة رقم ٣

مخطوط رقم ٧٠ سيناء — عربى ، ورقة ١٣٦ ا — ب

موضوع المخطوط «الأناجيل الأربعة» ، مقاسة ٢٣× ١٧ سم—

عدد أوراقه ١١٣ — مكتوب على رق وورق — كاتبه مجهول —

تاريخ الرق حوالى القرن التاسع ، والورق حوالى القرن الثالث عشر .

يتميز خطه، وهو كوفى ممتاز مقروء . والعناوين ورءوس الموضوعات ، مثل غالبية مصاحف المجموعة العربية ، بالمداد الأحمر .

لوحة رقم ٤

مخطوط رقم ٧٣ سيناء . عربى ، ورقة ١٥٥ ا - ب

موضوع المخطوط «رسائل بولس» — مقاسة ١٦× ١١ سم—

عدد أوراقه ٩٦ — مكتوب على رق — كاتبه مجهول - تاريخه القرن التاسع . يتميز المخطوط بخطه الكوفى الجيد المنسق ، وبتقدمه ، وبالرق المكتوب عليه .

لوحه رقم ٥

مخطوط رقم ٧٤ سيناء — عربى ، ورقة ١٠٩ ا — ب .

موضوع المخطوط «الأناجيل الأربعة» مقاسة ١٦ × ١١ سم—

عدد أوراقه ٢٥٤ ــ مكتوب على رق ــ كاتبه مجهول ــ تاريخه القرن التاسع ــ يتميز بخطه الوسط بين النسخ العتيق والكوفى ، فضلا عن قدمه ، والرق المكتوب عليه .

لوحة رقم ٦

مخطوط رقم ١٥٦ سيناء ــ عربى ، ورقة ١٤ ا ــ ب

موضوعه «الأعمال والرسائل» ــ مقاسة ٢٠,٨×١٤,٥ سم ــ

عدد أوراقه ٢٥٢ ــ مكتوب على ورق ــ كاتبه غير معروف ــ

تاريخه سنة ١٣١٦ م .

تكشف اللوحة عن التالى :

(ا) الخط : نسخى عتيق متسق .

(ب) الحالة العامة : الصفحة مبقعة ، ويظهر التآكل بوضوح وبخاصة عند الأطراف ، ويبدو أنه نتيجة قرض فأر .

لوحة رقم ٧

مخطوط رقم ١٨٥ سيناء ــ عربى ، ورقة ١٩ ا ــ ب

موضوعه «أورولوجيون» ــ مقاسه ١٨ × ١٣,٥ سم ــ عدد أوراقه ١٨٢ ــ مكتوب على ورق ــ كاتبه يدعى يعقوب بن ابراهيم بن سمعان ــ تاريخه سنة ١٢٣١ م .

تكشف اللوحة عما يلى :

(ا) الخط : نسخى عتيق غليظ ردىء .

(ب) الحالة العامة : الورقة مبقعة وبالية جزئياً .

لوحة رقم (١)

لوحة رقم (٢)

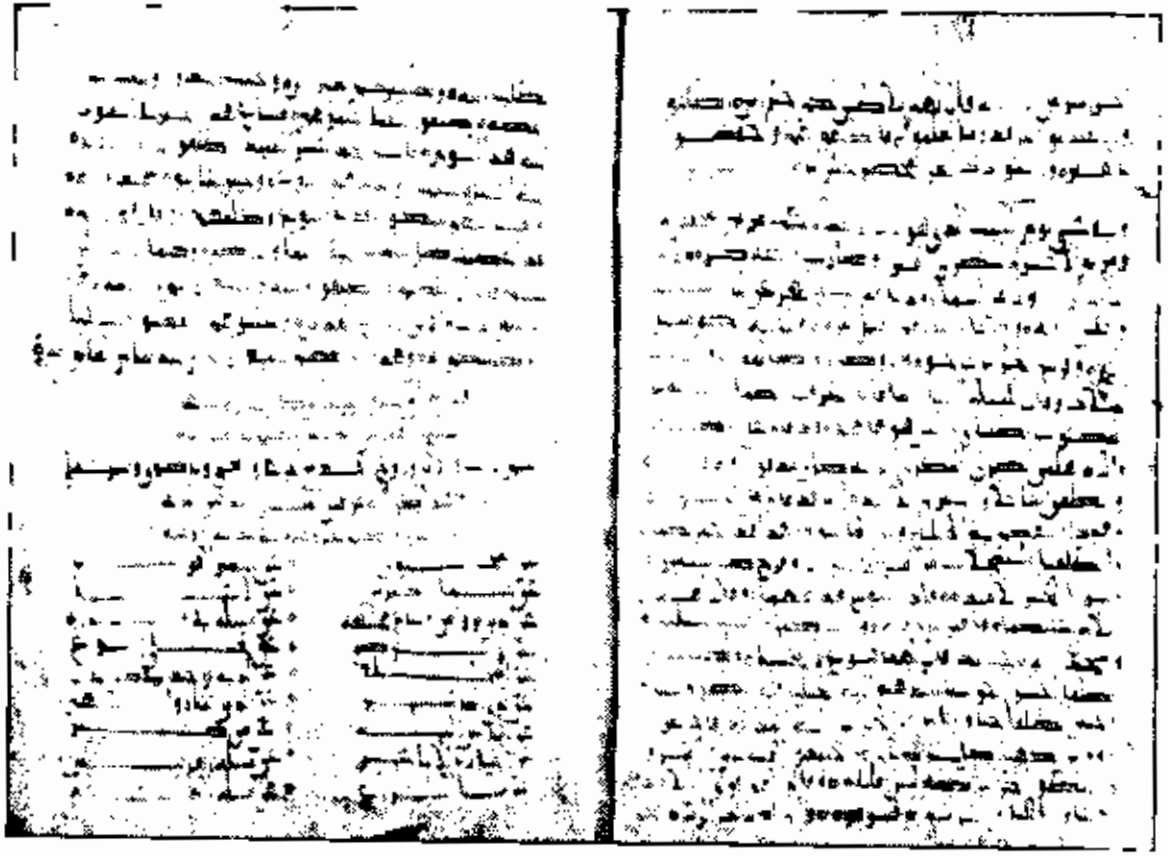

لوحة رقم (٣)

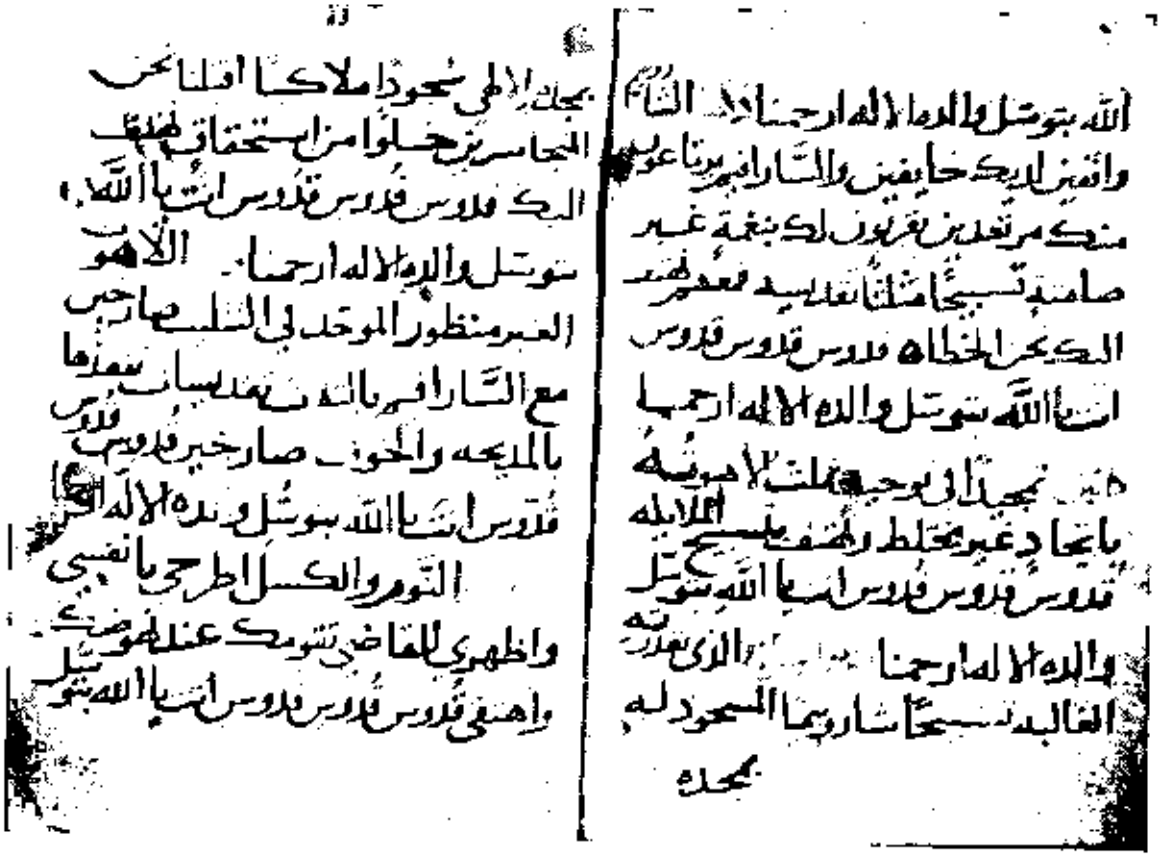

لوحة رقم (٧)